

# سياسة الصادق باي من خلال اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان

محاضرة الاستاذ : محمد العياري في الملتقى الثالث  
لابن أبي الضياف بسليانة أيام 25-26-27 مارس 1983

يعد ابن أبي الضياف مؤرخا لامعا من مؤرخي تونس في القرن التاسع عشر ، ذلك أنه واكب الاحداث الخطيرة التي جرت ببلادنا عن كثب ودونها وعلق عليها بطريقة يكتشف فيها الباحث أن الرجل مثقف من طراز ابن خلدون يعمل النظر في الاحداث ويعلل بواعثها واهدافها ، وقد ساعده على ذلك الوظيفة الذي كان يحتله في سرايا القصر الحسيني باعتباره كان وزيرا مكلفا بديوان الانشاء والرسائل استكتبه ثلاثة من امراء الدولة الحسينية وأتموه على اسرارهم فكان بذلك واحدا من الذين شهدوا دسائس القصور والاحداث العاصفة التي هزت بلادنا في القرن الماضي ومهدت لوقوعها تحت نير الاستعمار الفرنسي وقد كان الصادق باي الملك الذي وقع على معاهدة الحماية وسقطت البلاد في عهده تحت النفوذ الفرنسي المباشر ، ولذلك يحسن ان نتعرف على وجوه من سياسته لتبين السبل التي سلكها والمال الذي آلت اليه بلادنا في تلك الحقبة من الزمن <http://Archivebeta>

## السياسة الداخلية :

انتصب الصادق باي على عرش البلاد بعد وفاة أخيه المشير محمد باي سنة 1859/1276 والتزم بعهد الامان الذي أعطاه لكافة السكان باعتباره دستورا للبلاد اخرج الملك من ملك مطلق الى ملك مفيد ولقد عبر الصادق باي يوم بيعته عن التزامه بما كان اخوه قد التزم به : «اني اقبل البيعة من الاعيان الحاضرين على مقتضى ما وقع الالتزام به من المشير المقدس اخينا المشير سيدي محمد باشا باي، وهو عهد الامان لساكن السكان على الاعراض والاموال والابدان وما حواه من القواعد اللازمة والاركان»، وتظاهر الصادق باي في بادىء الامر بالرصانة ورعاية الصدر فأرجع العدول الذين عزلهم اخوه محمد باي الى مناصبهم كما ارجع المؤذنين الى الجوامع واجرى عليهم

أرزاقهم ، وتظاهر بأنه يطبق قانون العقل لا قانون الهوى حتى يكتسب ود الناس وولاءهم ، اذ هو ما يزال حديث عهد بالامارة «من يثبت ريب في شهادته يقتضي ردها كائنا من كان ارفعوا امره الينا ليعاقب بالقانون على قدر جنايته» وكان من نتيجة ذلك ان استيثر الناس بهذا التحول واعتبروه منة من الجالس الجديد على عرش آل حسين حتى يقول ابن ابي الضياف «فأدخل عليهم بذلك وعلى أهل البلاد سرورا، واتوه داعين شاكرين» .

ثم خطا الصادق باي خطوة اخرى فأضفى على ملكه سمة التحضر إذ رفض بيع العبيد بالبلاد وعنى مجموعة من الاماء أتى بهن النخاسون من السودان .

«فأمر بنزولهن في دار بالحاضرة وبعث عدولا لكتب عتقهن وعزم على ردهن لبلادهن» .

وبلغ خبر ذلك لفتنصل الانجليز فاتي سائلا «فأجابه بالواقع وبصدور العتق ... واستحسن فتصل الانجليز ذلك ونشر في صحف الاخبار وحسن موقعه في دول الحرية» .

ورفض التمييز بين المسلمين واليهود باعتبار أنهم جميعا مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات وذلك ليوضح للدول الاجنبية وعلى الاخص بريطانيا وفرنسا انه فعلا من ملوك الحرية وأنه متشبث بعهد الامان .

«ثم كتب اوامره في ولايات اليهود كما هو منطوق في عهد الامان فقدم المحترم الناصح نسيم شمامة من اعيان بيوت اليهود المعتبرة رئيسا على سائر اليهود في جمع ما يخصهم ، ثم كتب لاحبارهم وشهودهم وأجراهم مجرى عامة الناس كما هو الواجب في سياسة الملوك» . وانقسم الناس في تقييم مبادرة الصادق باي هذه فريقين اثنين ، فريقا يشجبها وفريقا ينوه بها ومن هؤلاء أحمد ابن أبي الضياف .

«وحسن هذا عند المسلم المنصف وقبح عند من لا يعرف من الاسلام إلا النطق بكلمتي الشهادة» .

هذه ممارسات تحسب للصادق باي فماذا يحسب عليه؟ بدأ في التظاهر

والإبهة في ملبسه وسلوكه، إذ ابتدع نيشانا خص به نفسه ووزيره مصطفى خزندار كما حرم تقبيل اليد الأيـده هو ويد باي «المحال» عندما يذهب لجمع الجباية فحسب .

«اخترع الباي نيشانا مرصعا بالياقوت سماه نشان العهد وليس مثله في موكب حافل ثم البس مثله للوزير ابي النخبة مصطفى خزندار .

«التحية بتقبيل اليد في المواسم أو مطلق الايام إنما هي من خصوصيات الملك لا يرخص فيها الا لمن يذكر بعده وهو باي المحال يحي بتقبيل اليد ما دام بالمحلة» .

وزين كرسيه بالذهب وهو عمل لم يستحسنه العقلاء من الناس خاصة منهم قناصل الدول الاجنبية .

«وزين كرسيه بالذهب والنقش ، ويبدو أن ذلك لم يعجب بعضا من قناصل الدول الاجنبية فسأل قنصل الانجليز عن المراد بهذا التبديل فأجيب بأن المراد التحسين والفخامة فرد قنصل الانجليز قائلا : «من كانت ولايته فوق قدره تكبر ومن كانت ولايته دون قدره تواضع» .

وجعل الخدمة العسكرية اجبارية الا على سكان الحاضرة إذ أصدر سنة 1860 مرسوما يقضي بانتداب الجنود بالخدمة العسكرية ويبدو أنه كان متحسبا من تحرشات انفرنسيين ومن الانتفاضات الداخلية ولكنه فتح بذلك منفذ الاثراء غير الشرعي، إذ أباح لمن يريد أن لا يباشر الخدمة العسكرية أن يدفع عوضا عن ذلك ، واستغل المباشرون لخطه تجميع الاجناد نفوذهم فجمعوا أموالا طائلة .

### نص المرسوم

- (1) ان الخدمة العسكرية واجبة على كل رجل من اهل الايالة .
- (2) ان مدة الخدمة العسكرية ثمانية أعوام لا زائد عليها .
- (3) ان العسكر لا ينزّل الا بالقرعة الشرعية .
- (4) ان من خرجت عليه القرعة له أن يصرح إذ أتى بعوض .

وصارت هذه العادة مصدرا لثراء غير مشروع يحصل عليه الامراء  
المكلفون بجمع العسكر مثل ما فعله محمد رشيد سنة 1864 .

«توجه امير الامراء ابو محمد رشيد سنة 1864 طبق قانون اثبات  
العسكر، الا أنه توسع في العوض عن الخدمة الواجبة على أهل الوطن،  
بأخذ ممن صادفته القرعة مبلغا من المال ويسرجه ، ويذكر أنه بذلك المال  
يثبت غيره وجمع من هذا العوض مالا له بال لا سيما من أهل جربة» .  
وعمل الصادق باي على تدعيم سياسته الداخلية فأقر المجالس المنبثقة عن  
عهد الامان وهي مجلس الشورى مؤلفا من اربعين عضوا ، ومجلس التحقيق  
وبه سبعة اعضاء ، ومجلس الجنابات والاحكام العرفية وبه خمسة عشر  
عضوا .

غير أن معظم هؤلاء الاعضاء كانوا من الانتراك المقربين الى القصر  
ليست لهم دراية بشؤون السياسة ولا فكر ثاقب قادر على تمييز الامور غثها  
من سمينها ، وانما اختارهم الباي على اساس الوجاهة لتعزيز ملكه وتثبيت  
امره في الايالة والظهور بمظهر الملوك العادلين في نظر الدول الاوروبية  
خاصة . وازداد ترف الباي وترف خاصته وحاشيته حتى تعرضت البلاد الى  
ضائقة مالية بعد المضاريف الباهضة التي انفقها سلفه في قصر المحمدية  
وجلب ماء زغوان وبعض المصانع التي كان خاصة الباي ينتفعون  
بمردودها . هذا بالاضافة الى النزيف الاقتصادي الذي تسببت فيه سياسة  
النهب والاختلاس لاموال الشعب ، إذ أن محمود بن عياد فر الى باريس سنة  
1856 بنحو 100 مليون من الريالات حيث اشترى فندقين وعمارتين ذكر  
الباحث الفرنسي جان فانياج مواقعها كلها فالفندق الاول موجود في رصيف  
دور ساي رقم 25 والفندق الثاني موجود في شارع «للما» أما العمارتان فهما  
موجودتان بنهج رقم : 43 ، 45 فسوء التصرف سبق انتصاب محمد الصادق  
باي على العرش وعوض أن يحتاط للامر فقد واصل البذخ والترف ومن شأن  
سياسة من هذا القبيل ان تنعكس انعكاسا سلبيا على البلاد وهو ما سنتعرض  
اليه في ايلانه .

محمد العياري

## خصائص النمو لدى الطفل في الفترة ما بين سن الثامنة والعاشر

بقلم الاستاذ : عبد الكريم المراق

تحتل الروابط بين الوالدين أهمية خاصة في تكوين الابناء . فتضامن الابوين واتفاقهما والاحتفاظ بسلامة الاسرة يخلق جوا هادئا ينشأ فيه الطفل نشوءا متزنا ، هذا الاتزان العائلي يترتب عليه غالبا اعطاء الطفل ثقة في نفسه وثقة في العالم الذي سيتعامل معه بعد ذلك .

ان دراسة 300 حالة من حالات الاحداث المجرمين والمشردين اثبتت ان نسبة 75 % من هذه الحالات يرجع فيها الاجرام والتشرد مباشرة إلى انهيار صرح الاسرة وفي هذا دليل على ان تماسك كيان الاسرة له اثره القوي والمباشر في سلوك الابناء . ومن أهم دواعي تفكك الاسرة المشاجرات بين الابوين التي قد تكون راجعة إلى سوء الحالة الاقتصادية أو إلى الاختلافات في طرق التربية أو إلى سوء سلوك أحد الابوين مما يضطر الطفل إلى الانحياز إلى أحدهما ضد الآخر وتختلف درجة متانة الروابط بين الوالدين اختلافات واسعة النطاق جدا غير أنه يمكن القول أنه كلما قلت هذه الاختلافات، زاد في العادة احتمال صلاحية الجو العائلي لتربية الاطفال تربية صالحة .

ثم إن التفكك العائلي قد يحدث بسبب وفاة أحد الابوين أو كليهما معا وقد تظهر للولد زوجة أب أو زوج أم أو أخوة غير اشقاء ، وقد يحدث هذا التفكك عن طريق الطلاق أو الانفصالات المؤقتة أو الدائمة ، أو اضطرار الابوين للعمل خارج المنزل من أجل كسب العيش أو غير ذلك .

ان كل هذا من شأنه ان يجعل جو المنزل احيانا ثقيل لا يطاق ، يهرب منه الطفل الى الشارع حيث يحتمل أن يبدأ سلسلة من سلوك غير مرغوب فيه . ان المجال الذي يعيش فيه الطفل يتدخل في تكوينه عامل هام هو الاخوة ومن هنا كان لمركز الطفل في الاسرة أهمية خاصة في نظر العالم النفساني

«ادلر» فهناك الطفل الذي يتميز بكونه الاول أو الاخير أو كونه الوحيد مع عدد من البنات . أو كون البنت وحيدة مع عدد من الاولاد ، أو كون الطفل هو الاول بعد عدد من الوفيات الى غير ذلك من التشكيلات التي تجعل للطفل مركزا متميزا تنجر عنه معاملة متميزة و يترتب على هذه المعاملة عادة أن يتخذ اسلوبا أو نمطا لمواجهتها .

فالطفل الذي يعامل بالتدليل يعامل كما لو كان ضعيفا محتاجا إلى الرعاية والتدليل ، والطفل الذي يعامل بالقسوة يشعره مع هذه المعاملة أنه ضعيف وكذلك الطفل الذي يهمل ويقع إبعاده أو يكون موضوعا للاستهزاء والسخرية فانه يشعر بالنقص . ان الاسلوب الذي يكونه الطفل تبعا لمركزه وما يعامل به يصريح اسلوبا يستعمله في كل المواقف المقبلة . فالطفل الاكبر الذي نشأ على الاخذ دون العطاء في السنتين الاوليين يكبر على الانانية التي تظهر منه اثناء اللعب ، وفي علاقاته بزملائه في الدراسة وفي علاقته الزوجية وغيرها من المواقف المماثلة . وهكذا نرى مدى أهمية التعرف على مركز الطفل في مجموعة الاسرة حتى نفهم سلوكه ونواحي شذوذه وحتى يستفيد الآباء من هذا في تحديد سياستهم نحو اطفالهم فيجب ان يعاملوا اطفالهم بحسب مراكزهم ، بحيث لا يتعرض الطفل لما يتعرض له عادة نتيجة هذا المركز .

ولا ننسى أن مركز الطفل ان كان يعطيه امتيازاً خاصاً في مجال الاسرة ، فان هذا الامتياز يحتمل أن يكون احد العوامل الهامة في خلق صعوبة تكيف الطفل مع بيئته التكيف المناسب .

ثم ان هذه الدراسة تفيد الاولياء كذلك من حيث سياستهم في انجاب الاطفال . فهل يكتفي الوالدان بطفل واحد أو بطفلين وما يكون طول الفترة التي تفصل طفلاً عن آخر ؟

هذا هو مركز الطفل وهذا هو جوه الاسري بما له وما عليه ولكن ومهما تكن الحال التي عليها الاسرة فان وضع الطفل فيها افضل بكثير من وضعه خارجا عنها . ان حاجة الطفل الى الغذاء العاطفي في جو نقي سليم لا تتحقق الا بين احضان الاسرة . ان النمو العقلي غير مضمون في غير جو الاسرة . فقد ثبت أن أولئك الاطفال الذين يُسَلَّمون بطريقة أو بأخرى إلى بعض

المؤسسات التي تعنى بشؤون الطفولة ، ثبت أنه بقدر ما تطول مدة اقامتهم داخل المؤسسة محرومين من الجو العائلي الحقيقي ، بقدر ما تظهر عندهم اعراض التخلف الذهني والسلوك الشاذ ، في حين أن نسبة عالية من أولئك الذين يقع تبنيهم في سن مبكرة جدا نشأوا عادين ومالت نسبة ذكائهم الى الارتفاع إذا كان مستوى العائلة المتبنية سليما ، ومرد هذا بالطبع هو أنهم تقريبا لم يحرخوا من عطف الامومة والجو العائلي بوجه عام حيث يكون قد تم تبنيهم في الايام أو في الاسابيع الاولى من ولادتهم وعسى أن يكون لهذه الحقيقة صداها في نفوس أولئك الذين يتوخون مواقف غير مسؤولة في ارضاء شهواتهم أو أولئك الذين يعمدون الى التخلي عن فلدات اكبادهم فيرمون بهؤلاء الابرياء في عالم مجهول .

ثم ان الاطفال في هذه المرحلة محبوبون للاستطلاع يريدون ان يعرفوا كل شيء حولهم تقريبا . وواضح أن حب الاستطلاع ميزة ينبغي أن نستثمرها ، وان نشجع الاطفال على ان يتوصلوا الى الاجابات بأنفسهم بدلا من أن نزودهم بها وتقدمها جاهزة . ان الطفل له قدرته على التفكير وهذه القدرة تنمو بنمو الطفل نفسه مثلها في ذلك مثل أي وظيفة عقلية أخرى ، ولهذا يجب أن نراعي في المشاكل التي نطرحها أمام الطفل في هذه المرحلة أن تكون عملية بقدر الامكان وان تكون العلاقات المطلوب من الطفل ادراكها أو استنتاجها بسيطة تتفق وطبيعة النمو العقلي في هذه المرحلة ، بحيث يجب ان نتوخى في دروس الحساب واللغة استعمال وسائل الايضاح أكثر ما يمكن وان تكون العمليات الحسابية قصيرة قدر المستطاع .

إن الطفل بعد سن التاسعة يميل الى التذكر عن طريق الفهم ويشعر في التخلص من التذكر الآلي لهذا ينبغي أن نفصل بحدز، بين التلميذ في المرحلة الاولى من التعليم الابتدائي وبينه في المرحلة الثانية منه ، لانه ، في هذه المرحلة الاخيرة يتجه اتجاها عقليا جديدا ، ولا يميل الى استنكار اشياء دون أن يعرف أسبابها ويدرك علاقاتها مع غيرها . وهذا راجع الى أن كل القوى العقلية من تذكر وانتباه تبدأ تنضج في هذه المرحلة ومن هنا وجب الاعتماد على البحث والتفكير وعلى الذاكرة المنطقية وعلى تخفير الطفل للعمل والتكرار عن طريق ميوله ومصادر الشوق لديه .

ان القصة تشبه الحلم ، وتشبه اللعب الاليهامي إذ فيها إعادة الأثران إلى حياة الاطفال الذين يجدون في كل قصة شخصيات تشبه من قريب أو من بعيد الشخصيات التي يقابلونها في الحياة والتي يضطرون للتعامل معها . ثم ان الطفل عندما يتابع احداث القصة كثيرا ما يطابق بين نفسه وبين بطل القصة . فالقيل مثلا هو مارد جبار يمثل القوة والسلطة أي أنه بمثابة والده الذي يتحكم فيه ، في حين أن العصفورة صاحبة العش هي كائن ضعيف بالمقارنة مع الغيل . ولكنها مع ذلك استعملت الحيلة واتحدت مع بني جنسها وبذلك أمكنها أن تتغلب على ذلك الغيل وتثأر منه . فيسر الطفل لهذا الصنيع لانه يطابق بين نفسه وبين بطل السلطة ، ويطابق بين المارد الجبار وأصحاب السلطة عليه .

إن ما ينطبق على قصص الاطفال ينطبق على الادب الذي يستمتع به الكبار . ومن أجل هذا تتوخى الاساليب التربوية الحديثة في تعليم اللغات الاعتماد على القصص المصورة واتخاذها كنطلق للحوار الذي يساعد الاطفال على اكتساب الطلاقة في اللسان والتعبير الجيد والروعة في الاخراج . وتلعب المكيفات الموسيقية دورا اساسيا في التنشيط والاقبال على التعلم في جو مرح خال من التوتر والشعور بالضجر .

ثم ومن جهة اخرى يجب ان لا يغيب عن اذهاننا العلاقة المتينة بين اللغة والتفكير فبينما يستعين الكبار في تفكيرهم باللغة والكلمات يستعين الاطفال في هذه السن (اي في سن التاسعة) بالصور البصرية ، ولذلك يجب أن يراعى فيما يقدم للناشئ في هذه المرحلة ان يكون واقعا يسهل تصويره بصريا علما بان الطفل كلما سار به الزمن نحو مرحلة المراهقة كلما ضعف فيه التصور البصري أو الصور البصرية وحلت محلها ألفاظ وكلمات وبهذا يكون للعمر الزمني اثره في النمو اللغوي .

وبالإضافة الى عامل العمر الزمني في النمو اللغوي نجد أن الذكاء هو الآخر يلعب دورا اساسيا في اكتساب اللغة ونموها ويظهر هذا من خلال التفوق الواضح الذي تجده عند الانكفاء بالنسبة لضعاف العقول . بل ان الانكفاء يبكرون عن متوسطي الذكاء في الكلام .



## اشكاليات الثقافة السياسية في المجتمعات العربية

بقلم : الحفناوي الماجري

إن تحديد موقف من القضايا الهامة بعد دراستها يتطلب تبيان المفاهيم للمسألة المحورية . وليس من السهل أن نحدد مفهوم «الثقافة السياسية» فهو ، شأنه شأن المقولات المطلقة ، كالحرية ، والعدل ، والمحبة ، يختلف في ضبطه لاختلاف الرؤى ، ولما للمصطلح من علاقة بأوضاع اجتماعية ومادية قد يترتب ، عند تحديده ، مراعاة المصالح . ولكن كيفما كان الاختلاف فإننا لا نعني به معيارا معرفيا ، وبالتالي فالثقافة السياسية لا تعني الحصول على درجة من المعارف في ميدان السياسة . فلو أخذنا بهذا المفهوم لوجدنا أنفسنا أمام اشكالات يستحيل حلها ، منها التفاوت في الثقافة السياسية للتفاوت في درجة المعارف ، بل وانعدام المثقف السياسي أصلا ، إذ كلما ظهر مثقف سياسي الا وطعن امام اخر بقوّه ثقافته . ومنها كذلك ارتفاع نسبة الامية في المجتمعات العربية ارتفاعا يتفاقم معه الجهل بالكتابة والقراءة ، بما بالك بمعارف في ميدان اختصاص هو السياسة .

وطرحنا لهذا المفهوم جانبا لا يعد منا عملية بسيطة تجنبنا مشاكل نحن في غنى عنها ، بل انه موازاة للتطور الحاصل في مفهوم «الثقافة» نفسه . فالثقافة لا تنحصر في المعنى الشائع والضيق : «مجموعة من المعارف والمعلومات» بل تتسع الى ما كان ذكره العالم الانكليزي تايلور في أواسط القرن التاسع عشر من «ان الثقافة هي ذلك المجموع المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والاخلاق والقانون والعادات وكل عادات اخرى يكتسبها الانسان باعتباره عضوا في المجتمع» .

وكان لهذا المفهوم الشامل حول الثقافة أثره في تحديد مصطلح «الثقافة السياسية» رغم حداثة .

فقد قيل حول التثنية السياسية انها «كيفية تعلم الفرد لمعايير اجتماعية عن طريق مختلف مؤسسات المجتمع مما يساعده على أن يتعايش سلوكيا معه» (1) . وعرفت الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية «الثقافة السياسية بأنها مجموع الاتجاهات والمعتقدات والقيم التي تنظم وتعطي معنى للنظام السياسي» (2) . وبما أننا كنا أشرنا منذ البداية الى خطورة الموضوع ، فإننا لن نتعامل مع هذه المفاهيم بسهولة ودون ان نتبين انعكاساتها على المجتمعات العربية . وأول ما يلاحظ فيها أنها مستمدة من الفكر الغربي ، وهي ، في

هذا الاطار ، متولدة عن المدرسة الوظيفية في علم الاجتماع ، والتي تقول بتواجد المجتمع على ركائز ثلاث : التكامل ، والاستقرار والاستمرار . وبالتالي فالثقافة السياسية تعني على هذا الاساس المساهمة ، عن وعي او عن غير وعي ، في استقرار المجتمع دون مراعاة بنيته وما قد تحمله طياتها من خلل . وثاني الملاحظات ان انتساب هذه المفاهيم الى الفكر الغربي لا يعني بالضرورة قطيعتها مع المجتمعات العربية . بل انها تتوازي معها في تركيبها وايديولوجيتها .

ان بنية المجتمعات العربية بنية مركزية في اتجاه عمودي يبدأ من العائلة حيث يتجسد المركز في الاب ، ثم في العشيرة ، ثم في الجهة .. وهكذا الى أن تمتص الدولة كل المراكز وتصبح هي المركز الكبير . ومن هناك يمكن ان نفهم مركزية الادارة والوظائف والقرارات .

وهذه اشارات المعاجم العربية الى أن مصطلح السياسة من «ساس الامر سياسة قام به»<sup>(3)</sup> والتاريخ العربي يؤكد ان القيام بالامر هذا منوط بالدولة . كان ابو حيان التوحيدي اورد منذ القرن الرابع للهجرة رفض السلطان ان يهتم الناس بالسياسة . فقد قال له الوزير ابن سعدان «قد والله ضائق صدري بالغيظ لما يبلغني عن العامة من خوضها في حديثنا وذكرها امورنا وتتبعها لاسرارنا وتنفيها عن مكنون احوالنا ومكنوم شأننا . وما أدري ما اصنع بها . واني لاهم في الوقت بعد الوقت بقطع السنة وايد وارجل وتنكيل شديد لعل ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة ويقطع هذه العادة»<sup>(4)</sup> او كان من قبل افترج احد رجال البلاط على الخليفة البويهبي المنعص في شأن مثل هؤلاء «صلب بعضهم واحراق بعضهم وتغريق بعضهم»<sup>(5)</sup> وكان الرعية تبنت مشروعية هذه المركزية ، فكثيرا ما تنظر الى احد افرادها المنشغل بالسياسة بالمخاطر والمتهور أو المسكين . ووصل هذا التبني الى درجة تمصت معها الرعية مما تنتفع به من ممتلكاتها العامة ونسبته الى الدولة . فنحن عندما نقرأ على لسان احد القصاصين التونسيين « نجتمع عند سبالة الحاكم وسط البطحاء نجلس هناك على الطوار تحت فانوس الحاكم »<sup>(6)</sup> سرعان ما نتذكر فكرة «الببلوك» السائدة في المجتمعات العربية ، ومعناها معاداة كل ما ينتمي الى الدولة حتى ولو كان ينتفع به العموم .

ان هذه الازدواجية التي يعيشها الفرد تفسر في اطار البنية المركزية في المجتمع العربي حيث الدولة تمثل المركز الكبير .

إذا ربطنا ذلك بموضوعنا «الثقافة السياسية» وتذكرنا مفهوم الثقافة السياسية الذي طرحناه للنقاش وتبيننا ان هذا المفهوم يعتمد المؤسسات التربوية اهم وسيلة في التنقيف السياسي ، اذا فعلنا ذلك ، علينا ان نتساءل اذن عن نوع التنقيف السياسي الذي تؤديه المؤسسات التربوية والاعلامية في المجتمعات العربية .

لقد قامت الدكتورة نادية حسن سالم ببحث حول «التنشئة السياسية للطفل العربي من خلال الكتب المدرسية» في كل من مصر والأردن وسوريا ولبنان<sup>(7)</sup> أومما اورده في بحثها انه «يتبين من التحليل الكمي ان 94 بالمائة مما كتب عن الخدمات والسلطة السياسية يركز على دور الحكومة ، بينما 6 بالمائة فقط يركز على دور المواطن في الكتب المصرية ... وتنشأ الكتب جميعها رغم الفوارق في العرض في سوريا والأردن ولبنان في خلق الطالب البعيد عن تحمل مسؤولية المشاركة في قضايا المجتمع . وعلى سبيل المثال كتب التربية اللبنانية في وصفها للمواطنة الصالحة تؤكد انها للحفاظ على كيان الدولة بشكل مجرد عن الوضع الحالي، تبعد الفرد عن المشاركة في هذا الكيان ... اما كتاب التربية السورية فيذكر : انت في كل ساعة من ساعات حياتك تشعر انك تنعم بما تقدمه لك الدولة ، فالخبز تشرف عليه الدولة ، واللحم الصحي تشرف عليه الدولة والمدرسة التي تتعلم بها أقامتها الدولة» . وتواصل الباحثة في عرض نتائجها : «يظهر التركيز ايضا على دور الافراد اكثر منه على دور الجماهير والجماعات في كتب المواد الاجتماعية للبنان والأردن وسوريا . فعلى سبيل المثال كتاب التاريخ الابتدائي يركز على الاسماء 371 مرة مقابل 4 مرات على الشعب وتاريخ السادس الابتدائي للأردن 579 مرة للاسماء مقابل 4 مرات للجماهير ، وتاريخ السادس ابتدائي لسوريا 284 مرة للاسماء مقابل 15 مرة للجماهير . ولا يظهر في الكتب اللبنانية ابراز دور الافراد فقط وانما عدم الاهتمام بالفئات الشعبية» .

فالتثقيف السياسي عبر القنوات الرسمية يهدف أساسا الى تركيز مفهوم الدولة . وبطبيعة الحال يقع الخلط بين الدولة كمؤسسة أو فئة كحكام .

هذا الهيكل العمودي في المجتمعات العربية حيث الدولة تنتصب في قمة الهرم كان له تأثير في الفكر السياسي العربي الاسلامي . فكان هو بدوره عموديا يلتجئ الى الحاكم اكثر مما يلتجئ الى الجمهور ، فأكثرت الكتب السياسية النظرية وضعت باسم الحكام ، وليس ذلك على المستوى الشكلي فقط بل والمحتوى . فاهتمام المفكرين التونسيين في القرن التاسع عشر يؤكد في معظمه على السلطان ، والغاية الأخيرة من الحركة الإصلاحية هي الحفاظ على الدولة الحسينية .

اننا عندما نقول كل ذلك نتصور الانتقادات التي قد توجه الينا فقد يقال : ان السياسة ذكرت اجمالا الى حد الآن في معناها الضيق ، معنى الحكم والمناصب . وحتى التفكير السياسي . بينما الاصح معناها الشامل ، وهو السياسة في اطارها الاجتماعي .

ان الاخذ بالمعنى الاجتماعي للسياسة دون محيصة يعرضنا الى مزالق كنا اشرنا الى اهمها في بداية المقال، وهي التأكيد على أن دور الفرد هو المساهمة في استقرار مجتمعه بقطع النظر عن خلله وتناقضاته . ويصير المعنى الاجتماعي للسياسة حصان طراودة

يركبه الكل . فبعضهم ان سئل اذا كان يهتم بالسياسة ام لا ، يجيب ان شراء الخبز من المخبزة جزء من النشاط السياسي .

واعتقاداً منا انه لتخليص مفهوم الثقافة السياسية من المعسمة الحيادية الصرف وبالتالي من سلبيتها وجب ان نتيقن ان انتماء الفرد الى المجتمع انتماء عضوي ينتج عنه امران معايشة اوضاعه من ناحية والسعي ، في اطار المجموعة الى تغيير نحو الافضل من ناحية اخرى .  
وذلك هو مفهوم الثقافة السياسية .

### المراجع .

- 1 - فيصل سالم : التنشئة السياسية والاجتماعية في الكويت . مجلة العلوم الاجتماعية - الكويت أكتوبر 1980 .
- 2 - نقلاً عن مجلة المستقبل العربي - بيروت ص 55 - ماي 1983 .
- 3 - حسن صعب : علم السياسة - ص 19 بيروت 1973 - انظر ايضا .
- 3 - احمد عبد السلام : مصطلح السياسة عند العرب - تونس .
- 4 - ابو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة لبلدة 34 .
- 5 - المصدر السابق .
- 6 - احمد ممو : زمن الفران الميكانيكية ص 85 - تونس 1980 .
- 7 - مجلة المستقبل العربي ص 54 ماي 1983 .

ARCHIVE

شركة أشغال سليانة SOTRAS

(مقاولات بناء وتعبيد الطرقات)

المقر الاجتماعي : حي الرياض - سليانة

الهاتف : 70.200 (08)

# الهجرة الهلالية بين الفاجعة والملحمة

محمد الهادي الدريدي

لا شك ان الهجرة الهلالية حدث تاريخي هام في تاريخ افريقية والشمال الافريقي بصفة عامة نظرا لانها تمثل نقطة تحول بين افريقية البربرية وافريقية العربية نظرا للعدد الهائل للأفراد الذين انتقلوا من المشرق الى المغرب على شكل تنقل جماعي كانت من اهم نتائجه تعريب شمال افريقيا.

وكثيرون هم المؤرخون الذين اعتبروا هذه الهجرة نقطة سلبية على المستوى الحضاري فتحدثوا عن «الفاجعة الهلالية» وعن «الزحف الهلالي...» وعلى راس هؤلاء العالم الاجتماعي ابن خلدون وبعض المؤرخين المعاصرين امثال شارل اندري جوليان Charles André Julien وغيرهم كثير.

وقد اعتبر ابن خلدون ان العرب «الزاحفين» حطموا الحضارة الافريقية التي بناها الصنهاجيون وعاثوا في البلاد فسادا وانتشروا كالجراد يخربون ويدمرون ويحرقون وينهبون وقد جاء في كتابه المعبر «وجاء العرب فتدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني وعاثوا في محاسنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها وشمّلوا بالعنف والنهب سائر من فيها وتفرّق أهلها في الاقطار فغطمت الرزية وانتشر الداء واعتزل الخطب...»

هذه اراء ابن خلدون في الهجرة الهلالية مع العلم انه عالم اجتماعي وليس بمؤرخ.

وقد استغل المؤرخون الغربيون عن قصد وبعض المؤرخين العرب عن غير قصد ما كتبه ابن خلدون ليبرزوا الخراب الذي أحدثه العرب ويعني بذلك قبائل بني هلال وهي زغب ورياح ودريد. ومن بين المؤرخين الغربيين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدرس شارل اندري جوليان Charles André Julien وفرنسوا بونسي François Poncet وهؤلاء ابتعدوا عن كل موضوعية تاريخية وخدموا بافكارهم النظرة الاستعمارية القائلة بان البربر يبنون الحضارة ويأتي العرب فيهدمونها وقد نشروا هذه الفكرة خاصة بالجزائر وكذلك تونس اثناء الفترة الاستعمارية ليفرقوا بين ابناء الوطن الواحد اي يفرقون بين البربر الجزائريين والعرب الجزائريين ليسهلوا على الاستعمار الفرنسي انذاك احتلال الجزائر ونهب خيراتها خاصة وان الاستعمار الفرنسي وجد مقاومة كبيرة من طرف كل ابناء الجزائر وفي محاولتهم هذه حاولوا ان يقطعوا جذور الجزائر وبالعبودية ويؤكدوا على ارتباطها باروبا اكثر من ارتباطها بالشرق محاولين تطبيق سياسة فرق تسد.

ونحن عندما نذهب الى ما نقول فاننا نملك الدلائل الواضحة والحقائق التاريخية الموضوعية التي تؤكد وتقول ان الحضارة في افريقية انهارت ليس نتيجة «زحف بني

هلال» وليس نتيجة «الفاجة الهلالية» وإنما الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمذهبية السائدة في افريقية قبل الهجرة الهلالية وفي عهد المعز بن باديس بن منصور بن بلكين كانت هي السبب الرئيسي لهذا الانهيار الحضاري وما الهجرة الهلالية الا سبب ثانوي جدا بل بالعكس فان الهجرة الهلالية هجرة تغميرية عمرت الفراغ الديمغرافي الحاصل بتونس الحالية وعربت شمال افريقيا .

ونعود الآن لدراسة اوضاع افريقية الفاسدة قبل مجيء بني هلال فعلى المستوى السياسي عندما انتقل الفاطميون من القيروان الى مصر اي للقاهرة فانهم تركوا للصنهاجين دولة مترامية الاطراف تمتد من البحر الابيض المتوسط اي من حدود ليبيا الى المحيط الاطلسي تضم برقة وطرابلس والمغرب الشرقي (تونس) والمغرب الاوسط (الجزائر) والمغرب الاقصى وما ان انتهت فترة حكم بلكين بن زيري حتى فقد الصنهاجيون المغرب الاقصى فخرست الدولة اكبر طريق تجاري يأتي من افريقيا السوداء ويمر بسجلماة اكبر ميناء صحراوي بجنوب المغرب ومختص في تجارة الذهب والعاج والملح والبارود .

وبانتهاء فترة حكم المنصور ثاني امراء صنهاجة خرج المغرب الاوسط عن طاعة الصنهاجين وتكونت فيه دولة بني حماد فتقلصت حدود الدولة الصنهاجية واصبحت لا تشمل الا افريقية اي تونس الحالية.

وفي عهد الامير الصنهاجي الثالث وهو باديس بن منصور بن بلكين والامير الرابع المعز بن باديس بن منصور الذي في عهده وقعت الهجرة الهلالية ازداد الوضع سوءا واصبحت المناطق الداخلية كتفصة مثلا تعلن استقلالها عن القيروان مثل ثورة «صندل» اذن فافريقية عندما قدم الهلاليون دولة ضعيفة فقدت اجزاء كثيرة من ترابها وتخللها الثورات الداخلية زد على ذلك سياسة التمييز والبذخ التي يعيشها الامراء الصنهاجيون فالمؤرخ ابن عذاري يحدثنا عن عرس المعز وما بذله فيه من مال ويحدثنا عن المسامير الذهبية التي اوتي بها من الهند لبناء صندوق جثة جدته... وعن بنائهم لقصور الابهة.

اما على المستوى الاقتصادي فان الاموال التي دخلت الخزينة المئانية من تجارة الذهب مع افريقيا السوداء لم يقع استثمارها في الحقل الزراعي مثلا بل صرفت في مظاهر الابهة وبناء القصور الفخمة وفي الاتيان بالחסنات الصقالية اللاتي يعشقهن المعز بل ان الجباية والمظالم الجبائية ارتفعت لما فقدت الدولة الطرق التجارية الصحراوية بخروج المغرب الاقصى والمغرب الاوسط (الجزائر) ونتيجة لكثرة الجباية وارتفاعها عدل الفلاحون عن خدمة اراضيهم واصبحوا يهتمون بتربية الماشية لانهم يستطيعون ان يغفروا بها من امام اعوان الجباية ونتيجة لذلك كثرت اراضي البور وقلت الاراضي المزروعة فطور النظام الرعوي على حساب النظام الاستقرارى فقل الانتاج فظهرت المجاعات وانتشرت الوبئة مما ادى الى انهيار ديمغرافي وقد حدثنا المؤرخ ابن عذاري عن هذه الوبئة والجماعات ووصفها وصفا دقيقا فيقول : « وفي هذه السنة ظهرت شدة عظيمة هلك فيها الفقير وذهب فيها مال الغني ... » وعندما هاجر بنو هلال ملؤوا هذا الفراغ الديمغرافي وعمروا البلاد .

ويذكر ابن عذاري ان سعر الرمانة الواحدة او الفروج الواحد في سنوات الجذب يساوي سعر 14 حملا من التمر سنوات الخصب. وهذه دلالة واضحة على تارجح الاسعار ونتاجه خاصة على الطبقات الفقيرة.

وامام هذا الوضع الاقتصادي المتعفن والوضع السياسي المتميز بالفوضى والحروب فان الصراع المذهبي كان مستغلا بين الشيعة الاغنياء ، والسنيين الفقراء ، فالصراع المذهبي اخذ صبغة مادية اقتصادية ، لان كل من هو شيعي فهو سند للنظام الحاكم فهو محظوظ اقتصاديا اما السكان المحليون السنة فانهم يعانون من الفقر والحرمان والدليل على ذلك ان سكان اكبر حي راق بالعاصمة القيروانية فهو «درب المعلى» وهو حي يسكنه الشيعة المشاركة الذين تركهم الفاطميون، فغضب السكان السنيون المحليون وهاجوا هذا الحي الشيعي الراقي رافضين الانتماء للمذهب الشيعي وللفاطميين بمصر.

أما على المستوى العسكري فان معظم جنود المعز ليسوا من سكان افريقية بل من السودانيين او من المستأجرين. ومتى دافع المستأجر عن ارض ليست ارضه ببسالة؟...

ولذلك عجزت هذه الجيوش عن وقف تقدم القبائل الهلالية . اذن هكذا نلاحظ ان الوضع السياسي والاقتصادي والمذهبي والعسكري كان متزجيا ومتعقبا ومتفجرا قبل مجيء بني هلال والحضارة الراقية في دولة المعز والتي هدمها الهلاليون كما يخيل للمؤرخين الغربيين الاستعماريين غير موجودة وان وجدت هذه الحضارة فهي مظهرية تهم المظهر فقط وتظهر دولة المعز كمسلاق رجلاه من اتصال.

واذا ما انهارت الحضارة الافريقية عند مجيء بني هلال فلان دولة المعز تحمل بذور الانهيار الكامنة في الداخل وتترقب نار القتل. وما الهجرة الهلالية الا عنصر مساعد لانهيار هذه الحضارة لان الوضع متفجر قبل هجرتهم فلم يمتلئون القطرة التي فاضت منها الكاس ولكن الكاس كانت ملاء وكالقشة التي قصمت ظهر البعير لكن حمل البعير ثقل قبل القشة.

بل بالعكس يجب ان نتحدث عن المظاهر الايجابية للهجرة الهلالية ذلك ان انتقال عدد كبير من بني هلال ورياح وزغبة وسليم وغيرهم من القبائل العربية بأسرها وارزاقها نحو افريقية واختلاط هذه القبائل باسر بربرية كان عاملا مهما في ترسيخ اللغة العربية وتراجع البربرية التي ظلت لغة الشعب الى ذلك الوقت وفي مزج الدماء البربرية بالعربية. ثم ان بني هلال العرب اجدادنا انتقلوا من افريقية الى المغرب الأقصى واستعملهم المرابطون جنودا يقفون امام الزحف المسيحي في الاندلس وقبلا منهم من عبر مضيق جبل طارق مدافعا عن الارض والدين والكيان والوجود.

هذا بالإضافة الى مجموعة قيم اخلاقية كانت موجودة عند البربر فعمقها العرب وهي الكرم والشهامة والانفة وعزة النفس وهكذا نستطيع ان نقول ونجزم ان الهجرة الهلالية وان نعتها الغربيون بالفاجعة فاننا نعتنها بالمحمة.

## « جبلي الشهم »

شعر : عبد الستار الهاني

مثلما أنت في قديم خيالي  
ثوبك الابيض المهيب الجلال  
لهف نفسي فكم قضى من جمال  
كنت تكساه في السنين الخوالي  
في دوام وفي ازدهاء وتعالى  
كلما زرت قريتي وبدا لي  
تسرح العين في أعالي التلال  
وتقاسيم صخرها متلالىء ★  
ليس أشهى من لحن طير الجبال  
نال قوتنا ولم يصب بنصال  
للمواشي فما تجوع بحال  
وليان وغيرها في هزال  
برحيل إلى البرور الخوالي  
من صقع ثمين كسب العيال  
يحفظ الام متبعاً بتوالي  
من شياه ولم يعش في ارتحال  
فبدانوا للحموم دونما اذلال  
بوفاء لم يخذلوا بمطال ★  
ثم نمتي وحطينا في اشتعال  
واذا البزد سرع في الزوال  
فاصت الصوت مثل سكب القلال  
ان يكون البقاء شبه محال  
كسيت برهي النباتات والادغال  
ثم تمضي بخاطيء لا تبالي  
لسخي ومفرد في الكمال  
فيك محيا وفيك أجدات الي

جبل المرج (عممتك) اللبالي  
مثلما كنت ترتدي في شتاء  
كنت تبدو بلبسه في بهاء  
وكم قضت هبة وزال سموخ  
ثوبك الاخضر الذي ترتديه  
هو أيضا شديد سحر لعيني  
كلما زرت قريتي وجلسنا  
تستبينني وهاذو ورواب  
كل طير يغص غابك يشدو  
ولكم دب في جيربك صيد  
كنت قدما تمدنا بمزراع  
بل تراها تجود عنا بلحم  
صار كسب الكثير غير معين  
كل راع يبطن كهفك تخفي  
كان سهلا معاشنا من كريم  
إن جدي نمت له نصف ألف  
يقدم الأهل كلاما حل عمر  
فإذا أبسروا غصرا ما عليهم  
كان قر بلغنا في نهـار  
فإذا السدف شامل ولذيد  
وانكم سحت السماء بهطل  
فإذا نحن راغب ورهوب  
ثم نضحى وارضا في اخضرار  
كنت تجزي بحرق غابك رطبا  
وتعيد النباتات والهطل طوعا  
هكذا أنت يا صديقي برور



أنت حصن مشيد للنضال  
مظهرا مبطنا جميل الخصال  
بغصون تُبيل خير الغلال  
يا لَسحر الجمال بين تلك الضلال  
وافر دائم لذيق زلال  
في سباق لكي يفوزوا بمال  
وفي نعيم وحافظ للمال  
ولتدُم مسعدًا لمقام آلي

جبلي الشهم لا تُزع بمشيب  
أنت تعطي الجزيل في كل أن  
الزياتين من سيولك تزهو  
والبساتين من سيولك تسقى  
والاراضي تفجرت بنمير  
أقبل القوم يرفعون دلاء  
أنت عون لاهلنا في ازدهار  
فالتدُم سالما جوادا سموخا

المنظمة القومية للطفولة التونسية  
المصانف والجولان

ARCHIVE  
المكتب الجهوي سليانة

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

رحلات الى داخل الجمهورية .  
رحلات الى الخارج لغاندة الاطارات واحباء المنظمة .

مصانف للاطفال داخل الجمهورية .  
مصانف للاطفال خارج الجمهورية .  
العمر من 7 الى 14 سنة .

امتيازات خاصة للمتمتعين بالضمان الاجتماعي .

المقر : شارع الجمهورية، سليانة  
الهاتف - 70.150 (08)

## عين الذهب أم مغارة العجب ؟!

بقلم : عبد القادر الهاني

الاهداء : الى الجمعية التونسية للمغارات أسوق الحديث

كثا جماعة لم يتجاوز عددنا عدد أصابع اليدين إلا قليلا ، قد ألقت بيننا الصلبة ، وجمعتنا العطلة الصيفية ، واستعجل حضورنا بالقرية ، شغفنا بها وحبنا لترابها ومائها وهوائها ، لشجرها وصخرها ، لمنحدراتها ومرتفعاتها ، لكل شيء فيها وحولها ، وبالقرب منها ، لجبلها الاشم ، جبل المرج المهيّب .

قال أحد الاصحاب - وكنا جلوسا أمام حانوت «التوتاي» - ما رأيكم في قضاء يوم باحدى (سواني) سكرة ، عند سفح جبل المرج وفي طرف جناحه الغربي ؟! هناك ننعم بالمناظر الخلابة ؛ إذ المياه جارية ، والخضرة يانعة ، والاشجار باسقة ، والظل ظليل ، والهواء منعش نقي ، ثم أردف : وهناك يمكننا - أيضا - زيارة عين الذهب المشهورة ، والوقوف على شيء من عجائبها ، التي طالما استمعنا إلى تفاصيلها بكثير من الدهشة والاهتمام والاعجاب .

ما كاد صاحبنا يصل هذا الحد ، حتى تعالت أصوات ولاحت اشارات ، مبدية موافقة الجميع ، معربة عن الرغبة في أن يكون الموعد قريبا ، قريبا جدا ، غدا أو بعد غد ، ولم لا ؟ فالكل في عطلة ، ومن قديم قيل : خير البر عاجله .

كانت المرة الاولى التي يحسم فيها الامر بسرعة ، وبدون لجج - كثيرا ما كان يصل حد الارهاق ، والسبب في ذلك يعود الى ما يحتفظ به كل فرد في قريتنا ، عن عين الذهب هذه ، من صور ذهنية بعضها مازال ناصعا ،

وبعضها الآخر بات باهتا ، غير أن مع جميعها عشرة ، شدتنا إليها شدا عجيبا ، ليس من السهل الافلات منه ، أو التخلي عنه .

قال صاحب ثان : سمعت المرحوم عم عمر يحكي في أحد الاسمار : عين الذهب تقع في سرداب كبير ، مأوها غزير حلو المذاق ، وقرب منبعتها كنز عظيم الشأن ، قدره بعض العارفين ، بالقناطير المقنطرة من الذهب الخالص ، وهو في حراسة عقاريت من الجن ، عقاريت تتشكل للقادح اليه في أشكال غريبة ، مخيفة ، مرعبة ، لذلك لم يفلح أحد من (العزامة) الذين حاولوا الاقتراب منه ، والاستيلاء عليه ، وعاد المعاندون وليس منهم إلا مرعوبا أو مخبولا أو مشوها .

وقال صاحب ثالثا : مازلت أذكر جيدا أن المرحوم عم حسين حكى ذات مرة فقال : منذ بضع سنين قدم رجل من المغرب ومعه ورقة فيها بيان لموقع الكنز ، ونص (العزيمة) المطلوبة و(النشرة) اللازمة ، وقد نجح في مسعاه ، واستولى على الكنز العظيم .

وتدخل صاحب رابع في حماس ظاهر : هذا وهم ، وهم محض ، لم يقدر على إتيان (عزيمة) كنز عين الذهب ، واحد من أجيال الأمس فما بالك بواحد من أجيال اليوم !! وسرد خامس وسادس ... ما بقي عالقا بالذاكرة حول عين الذهب ، وليس شيئا مما سمعنا إلا وهو أغرب من الخيال .

لم تكد شمس اليوم الموالي تطل من وراء كثبان جبل برفو ، حتى كنا على متن سيارتين في طريقنا إلى سكرة من منطقة سيدي مرشد ، كنا اثنا عشر فردا ، ومعنا خروف أبقع ، وماعون طبخ ، وأدوات تسلية ، وما هي إلا نصف ساعة ، حتى وصلنا (سكرة) فاستأذنا صاحب (سانية) حازت استحسان جميعنا ، سانية أشجارها بأسفة ، وأعشابها يانعة ، وخضراواتها مزهرة ، وبالقرب منها عين جارية ، كانت فيما مضى من غابر الزمن إحدى ينابيع بئر رومانية محاذية ، ما زال بناؤها يحتفظ بكثير من دلالات المهارة ، وأمارات الفخامة والمهابة .

في هذا المكان الرائق حططنا رحالنا ، ثم شرعنا في اعداد طعامنا ، بعضنا انشغل بالذبح والسلخ ، وبعضنا راح يجمع حطباً ويوقد نارا ، وبعضنا الآخر يجلب ماء ويهيء ماعونا ، ويعالج خضرا ، كنا في حركة دائبة ، تصل في بعض الاحيان حد الهرج والضجيج ، غير أنه وفي كل الحالات ،

كان السرور طاغيا ، والضحك مسترسلا مستحكما إلى حد نزول الدمع من العيون غزيرا .

ولم تمض ساعة وبعض الساعة ، حتى نضج المشوي فأكلنا وحضر الشاي فثرينا ، وعلى بساط من العشب أخضر ، استلقينا طمعا في شيء من الراحة ، ولكن هيهات أن يترك بعضنا البعض ينال منها نصيبا ، ولأجل ذلك استقر الرأي على التوجه - نوا - نحو عين الذهب .

مشينا مسافة مع الطريق الفرعية رقم 73 الواصلة سليانة بالوسلاتية ثم ملنا إلى اليسار فأصبح الجبل قبالتنا وإلى سفحه نتجه خطانا عبر مسالك وعرة ، متعبة ، غير بيئة ، ما لبثنا أن شعرنا - معها - بالتعب يدب في أجسامنا ويخفض من حماسنا .

شيعنا النظر إلى حيث أشار أحد الاصحاب مدلا على موقع العين ، فإذا بها معلقة في السماء مثل عش استقر بعالي الافنان ، ليست في السفح كما كنا نتوقع بل هي فيما دون القمة بقليل ، وإذا اشرأبت الاعناق ، وجحضت العيون ، وتسمرت عند موقع العين ، فقد انتاب الجميع شعور بالرهبة واحساس بجسامة المواجهة ، كيف الوصول إلى حماها ، والمسالك وعرة ، والصخور عالية ، والغابة كثيفة والعلو شاق والصعود صعب ، ودون أن يلتفت واحد لثان ، دار حوار كاد ينتهي بوضع حد لهذه (الرحلة المغامرة) لولا أن صاح فينا أحد الاصحاب قائلا :

أيعقل أن نفشل بعد أن بلغنا هذا المكان ؟ لا بد من الوصول إليها لا بد من اكتشافها ، كلفنا ذلك ما كلفنا ، لا بد من حل اللغز وتحطيم الاسطورة ، ودون أن ينتظر جوابا من أحد ، اندفع يجري مهولا مقتحما الاغصان المتشابكة والاحجار النابئة والمبعثرة والصعد الكأداء ... ولم يكن أمامنا إلا أن جاريناه في صنيعة ، فأسرعنا بالخطوات وثبا وقفزا ، ورفعنا الاصوات منشدين مغنين .

ظللنا على هذا النحو حينما من الزمن نتقدم مرة مسارعين في مجرى الوادي الهابط من ساحة العين والذي طلبت حجارته بطلاء اصفر مشرب بحمرة ، مشع اشعاع ذائب الذهب ، ونصاعد أخرى متحاملين في شعاب ملتوية وعرة مرهقة ، قادتنا بعد لاي إلى مغارة أولى وثانية ، حاولنا اقتحامهما ، والسير في عمقهما مسافة ، لكننا لم نقدر على شيء من ذلك ، إذ ما أن تجاوزنا عتبتيهما ببعض الخطوات حتى لفنا ظلام دامس ، وأوحشتنا حركة عصافير الخفافش

المخيفة ، وأزعجنا المني فوق بساط من الغبار سميكا منقوشا ، تغوص فيه الارجل غوصا يبعث في الجسم رعدة ، وفي النفس انزعاجا ، انهما مغارتان عظيمتان أشبه ما تكون الواحدة منهما بالنفق المحفور في الصخر حفرا ، فإذا به يتسع لجمع من الرجال ولا حاجة تدعوهم - أبدا - لطأطأة رؤوسهم أو انضمام أجسامهم .

تابعنا سيرنا مع كثير من الجهد والاستغراق في التأمل ، حتى إذا وصلنا المكان المقصود لم نجد عينا بل شبه عين ، ماؤها نزر ، ينسكب ببطء لا يكاد يقوى على الوصول إلى تيلتين بالقرب منها ، احدهما قد أدركها الكبر فأغثر جذيعها ، ونخرت أغصانها ، وجفت قشرتها وتعتت إلا من بعض الاوراق المخضرة المصفرة ، أما الثانية ، ففي عنفوان شبابها ، اخضر عودها والنفت أغصانها وكثرت أوراقها وبرزت ثمرتها .

حول هذا النبع تحلقنا نتفحصه ، وتبادل النظر في دهشة واندهال ، قال أحد الاصحاب : أهذه عين الذهب ؟!

وقال صاحب اخر : لعلنا أخطأنا موقعها ؟ ...

وقال صاحب ثالث : قد تكون هي عين الذهب فعلا ، كانت فيما مضى على غير ما هي عليه الآن ، كانت عينا فوارة ، لكن الزمن الذي لا يرحم ، قد فعل فيها فعله فردها ، وما هي بصدد أن تلفظ آخر أنفاسها .

في هذا الوقت الذي كان يدور فيه هذا الحوار ، كان أحد الاصحاب قد انسل من بيننا ، وأخذ يتمشى ذهابا وإيابا ، مركزا نظره هنا وهناك ، كمن يبحث عن شيء ثمين افتقده منذ حين ، ولم يطل به التجوال فصاح بأعلى صوته ، كمن عثر على ضالته بعد طول بحث وعناء :

هي ذي العين ، تعالوا ، هي ذي العين يا جماعة .

أسرعنا إلى حيث تسمر وتسمرت عيناه ، فإذا هي مغارة ، قد انسد مدخلها إلى أكثر من النصف بصخور ضخمة ، وإذا هي أشبه ما تكون بالحفرة العميقة قد تجمع في قاعها شيء من الماء راكدا اسنا ، تغطيه طبقة شفافة من غبار مصفر قد انتشرت به حبيبات دقيقة تحاكي في بريقتها جزيئات الذهب اللامعة . ورغم أن الشك ساورنا من جديد ، فإنه سرعان ما استقر رأي الاصحاب - باستثناء واحد - على النزول إلى حيث يوجد الماء ، وهناك كانت المفاجأة ومن هناك بدأت الرحلة العجيبة داخل مغارة عظيمة لا يبدو أن لها

نهاية ، مغارة جمعت المتناقضات ، وحوت ما شاء الله من الامور المغلقات : أرضيتها ماء راكد متواصل مستمر ، ينبسط مرة فإذا هو غدير أو كالغدير ، وينضم مرة أخرى فإذا به ساقية صغيرة ذميمة تافهة لا تسمن ولا تغني من جوع ، تنخفض الأرضية فيصل الماء الى حد الصدر ، وترتفع فإذا هو لا يكاد يغطي الكعبين ، ينزل السقف إلى حد يتعذر معه السير إلا مع كثير من الانحناء ، ويعلو أخرى علواً يكفي لسير العماليق ، تتسع جنباته لسير جماعة مرة ، وتضيق أخرى فلا تتسع لأكثر من شخص واحد ، تراه ينسل خلالها انسلالاً مرهقاً .

كنا نتقدم بثؤدة وبحذر لا مزيد عليهما ، يمسك الواحد بالآخر بيد ويتلمس طريقه بعضى في يده الأخرى ، وأيا كان موضع الرجل ، على الحجارة وهي حادة وملساء ، أو على التربة وهي متحركة منقوشة ، فان قشعريرة غريبة لا تفتأ تتجدد وتتنامى في كامل الجسم بما يرغم على المسارعة برفعها رغم اليقين بأنه لا ملجأ لها منه إلا إليه .

وأغرب ما في (العين المغارة) سقفها العجيب ، فهو مرة قبو من الصخر منحوت بغاية الدقة التي لا تصدر عادة إلا عن يد الانسان الذكية وهو أخرى قد فقد كل أثر للصنعة والدقة فإذا أطراف الحجارة نائنة وتساند الصخور عشوائياً فوضوياً ، وفي كلا الحالتين تتدلى منه زوائد ونبوءات ، دقيقة نحيفة كالمسامير ، أو سمكة غليظة مقببة أشبه ما تكون الواحدة منها بالثدي مرة وبالضرع أخرى .

وأغرب منه تلك الصور التي لا تنفك تتعاقب أمام عين الناظر من خلال تراقص الضوء المنبعث من أعواد الثقاب ومن شُعَل قصاصات الورق ، إنها تعيد إلى الذاكرة ذلك الصنف من الاشرطة الصامته والتي تصور الحياة في الادغال وأبطالها خليط من الانس والجن والحيوان ومخلوقات أخرى غريبة عجيبة ليس لها وجود إلا في الخيال .

أما الوقوف على بقايا من رماد وشموع فوق ناتآت الصخور يميناً وشمالاً ، وعلى امتداد المسير ، فقد كان مبعثاً لشعور غامض هو مزيج من الانس والوحشة ، أليس في ذلك دلالة على أنه كان للانسان في هذا المكان وفي يوم ما حضور ؟ لكنه حضور ... العزامين ، والسحرة المشعوذين .

أجل كل شيء في هذا المكان يدعو للدهشة ، ويبعث على الحيرة ، ويحمل على الخوف ، ولقد اجتهد منشط الجولة (احمد البني) فحاول أن يبدد خوفنا بتهريج المازح الذي لا يجاريه فيه غيره ،لقى خطبة (نارية) توجه بها لـ (الناس لخرى) اخبرهم فيها بقدمنا زائرين لا مقيمين ، كشافين لا طماعين ، مسالمين لا محاربين مؤمنين لا مخوفين ...

وواصل خطبته : منذرا ومعدرا ، مرغبا ومرهبا ، فأنسانا - إلى حين - ما نحن فيه ، فعززنا سعيه ، وشاركناه بالتهليل والتكبير ، والشكر والثناء ، واشتد حماسنا فرحنا ننده الجن والشياطين ، متبجحين بأننا احفاد الاولياء الصالحين ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولولا أن نفذت قصاصات الجريدة التي اتخذناها مشاعل تنير لنا السبيل ، لواصلنا السير على امتداد المغارة ، ذلك أنه وان امكن مقاومة الشعور بالخوف ، والصبر على قسوة برد الماء والهواء ، فإن الظلام أمره لا يطاق ، وسلطانه لا يقاوم ، لقد عدنا بأسرع مما دخلنا ، يدفعنا حب البقاء ، والتشبث بالحياة . ويستحثنا الحرص على الافلات من المجهول ، وكانت لنا الفرصة المواتية لان نهون على انفسنا بعودة في يوم قريب لمتابعة اكتشاف مجاهيل (عين الذهب) ، متسلحين بمصابيح تقهر الظلمة ، وحيال متينة وعصي قوية ، وأبسة غوص واقية من لسمح الماء والهواء .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

كان الجميع منصرفين للتحاور في هذا كله ، إلا اثنان كانا ممسكين عن كل كلام ، كانا منشغلين بأمر اخر ، كان الاول يحرق بالنظر في خطم العودة من خلال ما يسمح به النور المنبعث من بقية باقية من اعواد الكبريت ، كان حريصا على أن تكتمل لديه الصورة ، فذاك ادعى لانفكاك العديد مما اعتبر ألغازا ، وتفسير ما ظل على امتداد العصور من الامور المغلقات ، وكان الثاني منهمكا في عد خطوات العودة فإذا هي مائة وأربع من الخطوات .

★ ★ ★

عندما تحلقنا حول صاحينا خارج «المغارة العجب» ، وقرأنا ما ارتسم على وجهه ، أدركنا أننا - حقا - قد ولدنا من جديد .

سليانة في 85.11.20

ع - هـ

## الطب البيطري عند العرب (ماضيا وحاضرا وافاق مستقبل)

بقلم : د . محمد المثناني

المقدمة : منذ أقدم العصور بدأ الانسان في اكتشاف المحيط الذي يعيش فيه بكل عناصره ومكوناته ومنها عالم الحيوانات لما لهذه المخلوقات من منافع تعود عليه بالفائدة سواء في غذائه أو تنقلاته أو حراسته أو أوقات مرجه بحيث يكون الحيوان عنصرا أساسيا من عناصر حياة الانسان .

واهتم العرب منذ زمن بعيد بعلم الحيوان ووضعوا أسسه النظرية والتطبيقية وكانوا سباقين في هذا حيث كانت حلقة المعرفة العربية من الحلقات الأساسية في علوم الحياة البشرية جمعاء .

وكان اهتمامهم المتزايد بعلم الحيوان نابع من صلة الالفة المتكونة منذ القديم بينهما ولما لهذا الكائن من تعدد في الخيرات والخصال الفطرية أفاد بها الانسان وكان التصاق العرب بالحيوان التصاقا طبيعيا وعميقا حيث ظهروا رعاة للابل والاغنام وفرسانا بارعين .

وقد صقل القرآن الكريم معارف العرب وتسجيلاتهم للطبيعة وبث فيهم روحا جديدة للتفكير والمتابعة ودعا الله سبحانه عز وجل الناس لان يتفكروا بخلق الكائنات الحية ويتعمقوا في الاشياء وفلسفتها ومعرفة أسرارها . فيقول عز وجل : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » (1) ويقول تعالى : « وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا » (2) فلم يذكرهم باللبن فقط وإنما بفسجلة در اللبن من الضرع فيقول : « من بين فرث ودم » فأصبحت هذه الآية الكريمة أساسا للمفكرين منهم وسندا لعلوم الطب فيما بعد . ولقد أشار الله تعالى إلى اللبن وقيمته الغذائية العالية : « لبنا خالصا سائغا للشاربين » فاعتمدوه غذاءهم الاول .

(1) القرآن الكريم (سورة الفاشية 17) .

(2) القرآن الكريم (سورة النحل 66) .



وأكد ذلك النبي الكريم محمد (ص) في حديث شريف : « تداءوا بألبان البقر فإني أرجو أن يجعل الله فيها شفاء وبركة فأنها تأكل من كل الشجر » (3) وقال (ص) أيضا مؤكدا أهمية اللبن كقيمة غذائية : « ليس شيء يجزي عن الطعام والشراب غير اللبن » (4) .

ويذكر القرآن الكريم فوائد أخرى للحيوانات فيقول عز وجل : « ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله » (5) ويقول في آية أخرى ذاكرا أصناف الحيوانات التي يستفيد منها الانسان : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين » (6) .

وقد أوجز رسول الله (ص) وصف فوائد الخيل حين قال : « بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معانون عليها » (7) .

ويقول الجاحظ : « وقل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء إلا ونحن وجدناه أو قريبا منه في أسمار العرب والاعراب » (8) وهو يظهر السبب في جودة معرفة الاعراب للحيوان بقوله : « ربما بل كثيرا ما يبتلون بالناب والمخلب واللدغ والعض والاكل فزجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل وحال المجنى عليه والمجروح والمقتول وكيف الطلب والهرب وكيف الذاء والدواء لطول الحاجة ولطول وقوع البصر مع مايتوارثون من المعرفة بالداء والدواء » (9) .

وقال بعضهم (10) :

احبوا الخيل واصطبروا عليها  
فإن العز فيها والجمالا  
إذا ما الخيل ضيعها أناس  
ربطناها فشاركنا العيالا

---

(3) شوكت الشطي - تاريخ الطب ج 1 - ص 66 .

(4) نفس المصدر السابق .

(5) القرآن الكريم (سورة الأنعام 141) .

(6) القرآن الكريم (سورة الأنعام 142-143) .

(7) عبد الله بن الحسين . جواب السائل عن الخيل الاوائل .

(8) الجاحظ - الحيوان - ج 1 - ص 19 .

(9) نفس المصدر ج 1 - ص 20 .

(10) عبد الله بن الحسين : جواب السائل عن الخيل الاوائل - ص 4 .

## تاريخ الطب البيطري في البلاد العربية :

مصر القديمة (3500 - 672 ق م) .

كان لسكان مصر القدامى معرفة كبيرة بالحيوانات المجترة وخاصة الكبيرة منها كالأبقار حيث كانوا يعتنون بصحتها وبسلامة لحومها عند الذبح واعطائها الادوية اللازمة كان ذلك واضحا في الاكتشافات الاثرية التي وقعت في مصر ومن بين هذه الاكتشافات ما وصفه «كاهون» حوالي (1900 ق م) في وثيقة حول أمراض العيون والام البطن والنفخ عند البقر (11) واعطى وصفا لأمراض الحيوانات مثل طاعون البقر ونصائح لعلاجها (12) .

- حضارة وادي الرافدين .

إن البابليين (2200 ق م) جعلوا الطب البيطري علما بأحوال المواشي من جهة ما يصحها (13) ولقد أفرد حمورابي فصولا خاصة بشؤون عمل الطبيب البيطري أظهرتها قوانينه المشهورة (14) ومنها أنه للطبيب البيطري الذي يعالج حيوانا أن يأخذ السدس من ثمن الحيوان فضة ، وكذلك سن القوانين الأخرى التي تضمن العدالة للحيوان وتعاقب من يؤذيه أو يقتله (15) .

وقد لبث الطب البشري معتمدا على الحيوان لصياغة قوانينه الأساسية بحيث كان الطب البيطري هو أول أنواع الطب الذي ظهر على وجه البسيطة (16) .

- العرب المسلمون :

لقد عني العرب المسلمون بالطب البيطري لمعالجة حيواناتهم محافظة على ثروتهم فازدهر هذا العلم بحكم درايتهم وتجاربهم في الرعي وتربية

---

(11) فستاف روزنبرجر : امراض البقر - ص 1 .

(12) هـ - جاكوتدت وب . مورنات - طاعون البقر - ص 8-7 .

(13) عبد الحميد العلوجي - تاريخ الطب العراقي - ص 94 .

(14) د . طه حامد الشبيب : الموسوعة الصغيرة (الطب البيطري عند العرب ص 24) .

(15) محمود الامين - قوانين حمورابي - المواد 245-246-247 .

(16) د . طه حامد الشبيب : الموسوعة الصغيرة - الطب البيطري عند العرب .

الحيوان وبما اكتسبوه من البياطرة والحوالين الذين كان لهم مقام ملحوظ عندهم (17) .

وفي العهد العباسي ترعرع الطب البيطري فاضحي علما جليلا اهتم به العلماء ووضعوا فيه التصنيف ولا سيما بعد أن أدركوا أنه أصعب علاجا من أمراض الانسان لقصور الحيوان على النطق والكشف عما يشكوه (18) فانتقوا التشريح والجراحة والتشريح المقارن ومعرفة علم الامراض واشتهر عدد كبير من العلماء العرب الذين درسوا الحيوان ومن اسهبوا في هذا المجال :

- الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حيث يعتبر أول من ذكر الحيوان ووصفه وصفا بديعا وعلميا ، وكان كلامه خاليا من شوائب الخرافات والاساطير فحدثنا عن حياة النمل حيث يقول : «انظروا إلى النملة في صغر جثتها ونظافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبته على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة إلى جحرها وتعددها في مستقرها تجمع وفي وردها لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوقفها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس » (19) كما وصف لنا وصفا بارعا الخفافيش وغيرها من اجناس الحيوان فجاء كلامه مطابقا تماما لما عرفه العلم الحديث .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- الجاحظ . من أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب (الحيوان) فأجاد في وصف تأثير البيئة في الحيوان والانسان ولقد تكلم كذلك عن الطب والامراض الحيوانية منها والانسانية وبيان كثير من المفردات الطبية (20) ويمكن اعتبار الجاحظ من علماء الحيوان التجريبيين الاوائل فإن التجارب التي قام بها تدل على مدى اهتمامه ورغبته في التوصل إلى أسرار الكائنات الحيوانية (21) .

(17) نفس المصدر الثاني .

(18) نفس المصدر السابق .

(19) عادل محمد علي الشيخ حسين مساهمة العرب في علوم الحياة ص 41 .

(20) عمر رضا كحالة : العلوم البحتة في العصور الاسلامية ص 473 .

(21) حكمت نجيب عبد الرحمان : دراجات في تاريخ العلوم عند العرب ص 351 .

- ابن سينا في كتابه (الشفاء) له رؤية رائعة في وصف أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور ويتكلم عن العظام والغضاريف والشرابين والاوردة والاعشبة والحركات الارادية والطبيعية ويأتي بتفاصيل بعض الاجهزة الدقيقة التي يصعب على العين البشرية رؤيتها وكذلك عن العضلات العريضة التي تؤدي الحركة العاصرة ثم تحدث عن الالياف الموربة التي تؤلف بين الآخرين (22) .

- اخوان الصفاء : جاء في رسائلهم أن الحيوان يشارك النبات في الغذاء والنمو ولكنه يزيد عليه بأنه جسم متحرك وقد فصلوا أنواع الحيوان وعرفوا تركيبها وعرفوا أن ما من عضو في ابدان الحيوانات صغيرا كان أو كبيرا إلا وهو خادم لعضو اخر ومعين له اما في بقائه وتنميته أو في أفعاله ومنافعه (23) .

- الحسن ابن الهيثم : ورسائله في تأثيرات اللحن الموسيقية في نفوس الانسان والحيوان (24) .

- أبو بكر بن البطار صاحب كتاب كامل الصناعتين المعروف (بالناصرى) عمل طبيبا بيطريا بالأصطبلات الشريفة لخزانة الملك الناصر محمد بن قلاوون .  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- عمر بن يوسف بن رسول ثالث ملوك الدولة الرسولية في اليمن صنف كتاب (المغنى البيطري) .

- النصر بن شميل بن خرشمة التميمي المازني المتوفي سنة 204 هـ ومن آثاره : كتاب الصفات في خمسة أجزاء عن الأبل والغنم والطيور والفرس .  
- هشام بن محمد بن السائب بن بشير الكلبي : من تصانيفه (نسب الخيل) .

---

(22) نفس المصدر السابق ص 349 .

(23) عمر رضا كحالة : العلوم البحتة في العصور الاسلامية ص 348 .

(24) شوكت الشطر ، تاريخ الطب ج 4 - ص 120 .

- احمد بن علي المقرئزي (المتوفي في عام 845 هـ) ترك كتاب موسوم (نحل عبر النحل) .

- كمال الدين أبدا البقاء الدميري (1360-1426م) وموسوعته (حياة الحيوان الكبرى) رتب فيها الدميري الحيوانات على حروف الهجاء وقد وصف فيه عددا كبيرا من أنواع الحيوان بلغت نحو تسعمائة نوع (25) .

وغير هؤلاء كثيرون الا أننا نتوقف عند هذا الحد من التعرف عن الماضي المجيد لننظر في الوضع الحاضر وفي افاق المستقبل .

يتبع

(25) عادل محمد علي الشيخ حسين : مساهمة العرب في علوم الحياة ص 64 .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تقرأ في الاعداد القادمة

- المنطلقات السياسية للإصلاح الاجتماعي لدى ابن أبي الضياف .

□ الملك المقيد بقانون □

الدكتور جمعة شيخه

## التحولات الاجتماعية بالمغرب العربي خلال النصف الاول من القرن العشرين

بقلم : محمد غرس الله

أدى التحول الاقتصادي الخطير الذي شهده الغرب فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى تغييرات اجتماعية وسياسية جذرية تجاوزت حدوده حيث انسمت هذه الفترة بتحقيق البورجوازية انتصارات ساحقة مكنتها من تصفية الاقطاع وامتلاك وسائل الانتاج وانتزاع السلطة فاتحة بذلك المجال أمام رأس المال لينمو ويتطور بسرعة فائقة . ومع مطلع القرن التاسع عشر كانت الرأسمالية في أعلى مراحلها وأصبحت في حاجة إلى مجال حيوي فدخل العالم الغربي في مرحلة التوسع الاقتصادي من خلال سلسلة من اللصوصية مكنت الرأسمالية من التسرب في اصقاع مختلفة من العالم بحثا عن الموارد الطبيعية الخام **والاسواق وتمكنت** من تركيز مصالحها خارج اوروبا تمهيدا لخطوة جديدة . وما إن أوشك القرن التاسع عشر على نهايته حتى كانت الهجمة الاستعمارية الأوروبية قد بلغت أوجها مستهدفة بالخصوص القارة الآسيوية والأفريقية ودخل المغرب العربي كجزء من هذه الأخيرة في علاقة الهيمنة مع الاستعمار والامبريالية لقد كان تدخل الدول الأوروبية الكبرى في هذه المنطقة عنيفا وشرسا في أساليبه وشاملا في اهدافه ذلك أنه وإن وجد واقعا بشريا واقتصاديا مستضعفا فإن الغزاة لاقوا صمودا بطوليا جعل المقاومة تستمر وتتجذر مع مرور الزمن مسجلة بذلك ملاحم وبطولات رائعة .

وعلى الرغم من محاولات التصدي القوية فقد كانت نتائج الهيمنة عميقة إذ أدت إلى تحولات جذرية في البنية الاقتصادية والتركيبية الاجتماعية وشملت الفضاء المغربي بما في ذلك نمط السكن وال عمران . لقد كانت الارضية الاقتصادية في المغرب تقوم على التجارة الاصلية للتجمعات المغربية التي تعتمد أساسا على تجارة الصحراء والذهب وما نتج عنها من تطور في اقتصاد المغرب وخاصة بالنسبة للصناعات الاصلية التي أصبحت تسمى اليوم

تقليدية مع التركيز على النشاط الزراعي وتربية الماشية نظرا للطابع الفلاحي الذي يميز المغرب العربي وذلك في اطار تكامل اقتصادي وتوازن مميز سرعان ما اختل بتدخل الاستعمار حيث طمست بعض الانشطة ووقع تهيمش البعض الاخر .

ونظرا للترابط العضوي والموضوعي بين نمط الانتاج وتركيبية المجتمع فان جميع التحولات التي طرأت على البنية التحتية قد انعكست حتما على الواقع الاجتماعي شكلا ومحتوى .

ولئن تعددت مناهج الظواهر الاجتماعية فإن المنهجية العلمية تبقى ادق المناهج واسلمها لذلك سنسعى من خلال هذه المحاولة المتواضعة إلى إبراز التغييرات التي عرفها المجتمع المغربي في اطار علاقة الهيمنة التي فرضها الاستعمار . وإن كان من الصعب الحديث عن مجمل هذه التحولات بالمفهوم الطبقي الصحيح نظرا لغياب عدة مقومات من بينها عنصر التطور الذاتي والوعي بالانتماء وغيرها فإن استعمال كلمة طبقة يقصد به الفئة الاجتماعية أو مجموعة مهنية معينة لا المفهوم الطبقي المتعارف عليه في انماط الانتاج للرأسمالية المتطورة .

كان التغيير الذي طرأ على هياكل المجتمع عميقا وشاملا إذ تغير المحتوى فتعددت الفئات الاجتماعية وتغيرت مكانة البعض منها مثل طبقة العلماء التي تقلصت مكانتها لما تعرضت إليه من مزاحمة فعوضت تدريجيا بصنف اخر برز تدريجيا مع انتشار التعليم وكذلك الطبقة الحاكمة والمسيرة نتيجة الانقلاب الحاصل في نظام الحكم اثر انتصاب نظام الاستعمار بهيكله السياسية والادارية . كما بعثت في خضم هذا الوضع الجديد طبقة البورجوازية الصغرى التي كانت خفية ولم تكن لها مكانة هامة في النفوذ الاجتماعي .

إن أبرز مظاهر التحول الاجتماعي تتمثل في ظهور طبقات جديدة تعتبر افرازا للسياسة الاقتصادية التي فرضها الاستعمار والتي تقضي بتوفير الخامات وتصديرها الى الخارج لتنمية قوى الانتاج الاجنبية وتركيز الحد الأدنى الضروري فقط من المصالح التي يسهل بواسطتها تكريس سياسة

الاستغلال في ظروف طيبة كإقامة بعض الطرقات والسكك الحديدية والمواني .

إن الطبقة العمالية التي تنامي دورها وتزايد عددها وأصبحت واعية بوزنها الاقتصادي والمذهبي الايديولوجي والجماهير الشعبية الحضرية التي ظلت خلال هذه الفترة في حالة تقهقر وبطالة تمثلان الجوهر في عملية التحول الاجتماعي بالمغرب خلال النصف الاول من القرن العشرين نظرا لدورها الطلائعي في مصير ومسيرة المجتمعات المغربية .

الطبقة الحاكمة : كانت الارضية التي تقوم عليها الطبقة المسيرة هشة إذ ظلت تعتمد منذ العهد التركي على تحالف الفئة العسكرية والسياسية وتكمن قوتها في الجيش حيث يعتمد النظام العسكري على البدو والقبائل التي كانت بينها وبين سكان المدن حزازات كثيرة إذ يمثل «البلدية» النخبة التي تتعاطى المهن الشريفة كالقضاء والعلم وترفض غالبا دخول الجيش والتعامل مع السلطة السياسية ، وقد أدى خضوع شمال افريقيا للنظام الاستعماري إلى ضرب الطبقة الحاكمة التي انتزعت منها السيادة .

لكن رغم الفواصل الموجودة بين الطبقة السياسية والنخبة المثقفة التي بقيت المهام الايديولوجية تحكرا عليها باعتبارها مثقفة وواعية بوزنها (مكانة القاضي مثلا) وتشتمل من السياسة فإن اهداف هاتين الفئتين تعتبر مشتركة إذ سرعان ما زالت الحواجز التي تفصلها أمام الخطر الذي أصبح يهددها فاتحدت لتتمكن من فرض وجودها على النظام الجديد حتى يشركها في الحكم لتستعيد ما خسرت . لذلك فقد عملت هذه الطبقة على الاستفادة من المصالح التي ادخلها المستعمر وخاصة النظام التربوي حيث عوضت الجامعة الزيتونية تدريجيا بمؤسسة تعليمية تخدم مصالح التشكيلة الاجتماعية الجديدة التي حرصت على تعليم ابنائها حتى يكونوا في المراكز الحساسة مستقبلا .

على هذا الاساس استطاعت هذه العائلات التي كادت تتلاشى مع دخول الاستعمار وازيحت من السلطة أن تتأقلم مع الواقع الجديد فوجدت عبر تحالفها مع نظام الاستعمار منفذا مكنها من ان تتغذى بدم جديد للحفاظ على



مكانتها ووفرت للاستعمار كوادر هامة في سلك الادارة بل يمكننا القول أنها أصبحت حليفا موضوعيا للمستعمر من خلال موافقها التي كانت في عديد المناسبات عدا بعض الاستثناءات مناهضة لتطلعات القوى الوطنية الصاعدة . أما بالنسبة لدورها الاقتصادي فإن وسائل الانتاج كانت في ضل نمط الانتاج التابع السائد انذاك بيد الاجانب لذلك أصبح وزنها الاقتصادي هامشيا إذ اقتصر على دور الوساطة بين المصالح الميتروبولية وبلادها .

كبار التجار والصناعيين : تمثل هذه المجموعة ما يمكن تسميته بالطبقة البورجوازية نظرا لوزنها في الميدان الاقتصادي ومركزها الاجتماعي الحساس لذلك كان تأثير السياسة الاقتصادية الاستعمارية عليها حادا . لقد تقلص حجم هذه الطبقة وتفقرت نتيجة تبعية اقتصادها وتعرض انتاجها ونشاطاتها لمنافسة البضائع الاجنبية مما أجبرها على الهجرة .

فقد كانت ظاهرة الهجرة خطيرة في الجزائر وقد تحدث مصطفى لشرف في كتابه l'Agerie : Sté et Nation عن الهجرة الجماعية التي شهدتها البلاد خلال السنوات 1830 ، 1854 ، 1875 وخاصة خلال سنتي 1910 ، 1911 انطلاقا من مدينة تلمسان حيث كانت «مأساة حضرية» ونزيفا خطيرا أفقد الجزائر عددا هاما من أصحاب الحرف والصناعيين نتيجة خنق الصناعات المحلية اثر غزو المنتجات الأوروبية للأسواق المغربية .

وعلى غرار ما حدث بالجزائر كانت وضعية اصحاب هذه الحرف بالمغرب الأقصى مأسوية وقد تعرض إلى ذلك JAQUE BERQUE في كتابه «LE MAGREB ENTRE LES DEUX GEURRE 1930. 1940» فشبّه حالتهم الاجتماعية بحالة القرويين والخماسة الذين انتزعت أراضيهم وذلك لما أصاب انشطتهم من ركود .

أما في تونس فقد حلل PIERRE PENNEC في كتابه «Transformation des corps de metiers a TUNIS : Sous l'influence d'une économie Externe de type capitaliste» الوضع الذي آلت إليه الحرف والصناعات المحلية فأشار إلى أن فئة الشواشين (صانعي الشاشية) قد تقلص عددها من 20.000 سنة

1730 إلى 7000 سنة 1840 وكاد هذا الصنف يضمحل مع بداية القرن العشرين إذ لم يعد يتعاطى هذا النشيط سوى ألف حرفي فقط .

كما لاقت فئة الحرايرية (أرباب صناعة الحرير) والصباغين نفس المصير نتيجة المنافسة الخارجية فتدرج عددها بالنقصان من 2000 سنة 1890 إلى 320 فقط سنة 1934 بالنسبة للحرايرية ومن 1200 سنة 1730 إلى 20 فقد سنة 1934 بالنسبة للصباغين وهو نفس المصير الذي الت إليه بقية الحرف والصناعات «كصناعة السرج» وغيرها . وما من شك في أن هذه الصناعات كانت المحرك الأساسي لنشاط التجارة من خلال تزويد بعض ما تحتاجه هذه الصناعة وتصدير انتاجها الجاهز لذلك فإن الازمة القائلة التي شهدتها هذه الأنشطة قد انعكست بحدة على الحركة التجارية التي أصابها ركود كبير فلم يعد التجار قادرين على مجابهة الوضع حيث تحولت البلاد من مصدر إلى مورد وغزت البضائع الأجنبية السوق المغربية وخاصة في ميدان صناعة الشاشية وتبعاً لذلك انكمش نشاط هذه الطبقة الاجتماعية وضعفت قدرتها الاقتصادية وفقدت مكانتها في المجتمع وزال الجاه الذي كانت تتمتع به وتدرجت نحو واقع الطبقات المستضعفة .

ينبع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أسرة المجلة حريصة على أن تتلقى ملاحظاتك واقتراحاتك حول شكل ومضمون «الاتحاف» وستعمل جهدها كي تلبى رغبتك .

# الرعاية الاجتماعية وتطور الخدمة الاجتماعية

بقلم : الحبيب المالكي

## I - الرعاية الاجتماعية :

الرعاية الاجتماعية : هي «رغبة الانسان في مساعدة اخيه الانسان».

لقد نمت مهنة الخدمة الاجتماعية عن أنشطة الرعاية الاجتماعية التي مارسها الانسان في مختلف المجتمعات على مر العصور. الانسان حيوان مجتمعي Animal Communal، وفي كل المجتمعات التي نشأ فيها الانسان كانت تمارس عدة نشاطات اجتماعية كمعاونة القبيلة لأفرادها العاجزين، العناية بمن كانت تصيهم الكوارث، تعليم الصغار لأعدادهم للمستقبل...

وتعتبر تلك الأنشطة الاجتماعية «رعاية اجتماعية» وهاته الرعاية الاجتماعية كانت تتطور كلما عرف المجتمع الانساني سبيله الى النهضة والتقدم.

## الاسلام والرعاية الاجتماعية :

كانت القبائل، في شبه الجزيرة العربية، تعيش في حروب طاحنة، وكان الانسان يستغل اخاه الانسان وسيطر القوي على الضعيف هذا الى جانب تمتع فئة قليلة بالنفوذ والثروة على حساب بقية تعيش في فقر وخصاصة وحرمان، فجاء الاسلام كثورة شاملة على تلك الأوضاع الفاسدة وحطم الالهة المصنوعة من الأحجار رمز الضعيفة والتخلف. وتم جمع العرب حول الاسلام وتشكلت العلاقات الاجتماعية السليمة في قالب انساني راقى.

جاء الاسلام بتعاليم اخلاقية تنص على تحرير الفرد من الانانية وان يحب غيره من الناس ويمد لهم يد المعونة وان تكون له مسؤوليات ازاء مجتمعه على ان تكون تلك المسؤوليات الاجتماعية نابعة عن اقتناع لا عن رهبة من الوقوع في المعصية والخطيئة.

ويمكن على سبيل الذكر لا الحصر ذكر بعض القوانين (1) الاجتماعية التي اتى بها الاسلام والتي تنظم التكافل الاجتماعي.

1 - مساعدة الفقراء والمساكين : لقد نص الاسلام على ان يمد يد المساعدة لغيره من المحتاجين ولا يعتبر ذلك تفضلا منه على المحتاج بل واجبا اجتماعيا.

2 - قانون العميان.

3 - قانون المقعدين.

4 - قانون الاسرى.

5 - قانون المساعدة ويشمل :

أ - المدين الذي عجز عن سداد دينه.

ب - القاتل عن غير عمد.

ج - الغريب أو ابن السبيل.

6 - قانون المعون : «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، والذين هم براءون ويعمنون المعاون». قرآن كريم.

## الرعاية الاجتماعية في الولايات المتحدة :

بعد حروب ضارية تمكنت الولايات المتحدة من طرد الانجليز من ارضها وتحقيق استقلالها.

• حاولت الولايات المتحدة في اول دستور لها ان يكون اقل تدخل ممكن من جانب الدولة في حياة الأمة والأفراد. وهو نتيجة لكرهيتهم للحكومة البريطانية التي اذلت شعبهم ردحا طويلا من الزمن. وركزت عدة مؤسسات خيرية تمارس اعمال البر.

في عام 1843 انشأت مدينة نيويورك «مؤسسة تحسين احوال الفقراء» وكانت هذه المؤسسة تهدف اساما الى رفع شأن الفقير جسميا واخلاقيا بجانب منحه اعانة مناسبة.

وفي عام 1873 تعرضت البلاد الى موجة كساد نتيجة للحرب الاهلية، وانتشرت البطالة والأمراض الاجتماعية المصاحبة لها. وكانت الجمعيات تقوم بمد يد العون للعاطلين وهو ما دعم مصداقيتها وبرز دورها الاجتماعي الفعال.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وفي عام 1877 انشأت جمعية تنظيم الاحسان التي حددت لنفسها جملة من الاهداف :

1 - مساعدة الاسر المحتاجة.

2 - توعية المجتمع بوسائل محاربة الفقر.

3 - العمل على القضاء على اسباب الفقر.

أما المبادئ فيمكن تلخيصها فيما يلي :

1 - القيام بدراسة مستفيضة لكل حالة.

2 - انشاء جهاز مركزي لتسجيل الحالات المعانة حتى لا تحصل الحالة الواحدة على اعانة من اكثر من جمعية.

3 - التعاون بين المؤسسات المختلفة التي تساعد المحتاجين.

4 - التوسع في الاستعانة بالمتطوعين.

وبإتساع نشاط هاته الجمعيات اصبح المتطوعون غير قاندين على تحمل اعباء

ومسؤوليات نشاطها فاستقر رأي الجمعيات على استخدام موظفين يتقاضون اجورا حتى يتفرغوا لعملهم. وظهرت بالتالي حاجة لتلك الجمعيات الى تدريب موظفيها.

وظهرت اول مدرسة لتدريب العاملين في مجالات الرعاية الاجتماعية في عام 1898.

كما برزت للوجود المحلات الاجتماعية التي كانت تهدف الى رفع مستوى الطبقات المتخلفة «من الداخل» بمعنى انها كانت تعمل على رفع مستوى تلك الطبقات من جميع الوجة حتى يقضوا بانفسهم على اسباب تخلفهم. بحيث كانت تهتم بالظروف المحيطة بالفرد والمؤثر فيه اكثر من اهتمامها بالفرد مباشرة.

## II . نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية وتطورها :

تعتبر نشاطات الرعاية الاجتماعية هي البذور الاولى التي نبتت عنها مهنة الخدمة الاجتماعية.

بلغت الراسمالية ذروتها عندما اصبح جزء كبير من العالم خاضعا للاستعمار لان البورجوازيين كانوا يسعون الى السيطرة على اسواق جديدة في ما وراء البحار . الا انه وفي المقابل كانت الحركة الاشتراكية اخذة في النمو في دول اوروبا الغربية . وخاصة في فرنسا والمانيا وفي بريطانيا كان لحزب العمال صوتا مسموعا.

ولذلك عمدت الدول الرأسمالية إلى تحسين اجور العمال وتدخلت في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية السائدة في بلادها .

واثر انتخاب «ثيودور روزفلت» رئيسا للولايات المتحدة الامريكية بدا يعطي اهتماما اكبر للرعاية الاجتماعية ونتيجة لجهوده تلك عقد مؤتمر البيت الابيض لرعاية الاطفال الذين لا عائل لهم وذلك في عام 1909، ثم صدرت بعد ذلك عدة تشريعات لمساعدة الامهات.

وفي عام 1912 انتخب مرشح الحزب الديمقراطي «وودرو ولسون» وشجع كثيرا فكرة تكوين العاملين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية. وقد ادى عمل خريجي تلك المدارس في المؤسسات الاجتماعية الى وجود خدمات واضحة مثل رعاية الاسرة والطفولة والخدمات الطبية ورعاية الاحداث المنحرفين. ومع اتساع حركة الخدمات الاجتماعية وتدخلها لتحسين الاحوال المعيشية للمواطن ونظرا لكثافة خريجي مدارس الرعاية الاجتماعية اطلق اسم الخدمة الاجتماعية على مختلف الخدمات التي تقدمها المؤسسات الاجتماعية ويسمى من يمارسونها اخصائيين اجتماعيين. فالى جانب الخدمات التي يقومون بها كان الاخصائيون الاجتماعيون يقومون ببحوث واسعة النطاق لاكتشاف العلل الاجتماعية وتوفير المعلومات الكافية عنها لاستخدامها من طرف الحكومة لتحديد برامج للقضاء على تلك الافات الاجتماعية. وبعد الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917 وخوفا من انتشار الشيوعية في بقية الدول الراسمالية اصبح تدخل السلطات الحكومية في مجالات الرعاية الاجتماعية كما يلي :

1 - تكوين ادارات حكومية للرعاية الاجتماعية بدلا من اللجان التي كانت تهتم بالرعاية الاجتماعية.

2 - تنسيق برامج الخدمات بين المؤسسات الحكومية.

3 - تنسيق برامج الخدمات بين المؤسسات الاهلية.

4 - تنسيق الجهود بين الهيئات الاهلية والهيئات الحكومية.

وانعقد اول مؤتمر للخدمة الاجتماعية في الولايات المتحدة في عام 1915. كما نشأت اول طريقة لخدمة الفرد في مهنة الخدمة الاجتماعية في عام 1917 واطلق عليها اسم «Casework».

وفي سنة 1935 تم تقديم اول بحث اجتماعي بعنوان «ما هو العمل مع الجماعة» وتم حينئذ الاعتراف بطريقة «خدمة الجماعة» «Service de groupe» وظهر اول مرجع استخدم في دراسة تنظيم المجتمع وهو «تنظيم المجتمع» في سنة 1925. وفي سنة 1928 تم الاعتراف بهاته الطريقة «تنظيم المجتمع» «Organisation ou developpement Communautaire».

## الخدمة الاجتماعية في الوطن العربي :

ان مفهوم الخدمة الاجتماعية المتعارف عليه حاليا في كافة انحاء العالم يركز على اساس خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع. الا ان مؤسسات الخدمة الاجتماعية في العالم العربي تعاني من ضبابية وقصور قد يكون من أسبابه فقدان هاته المؤسسات لبرامج علمية واضحة وخاصة بها مثل ما هو موجود بالعالم الغربي. كما نسجل ايضا غياب النظرية والمنهج لمهنة الخدمة الاجتماعية. ونلاحظ ان عدم الوعي الاجتماعي لماهية واهمية الخدمة الاجتماعية لدى الشعب العربي اثر سلبيا على مستوى الخدمات الاجتماعية المقدمة في كل القطاعات المختلفة واثّر ايضا على مستوى العاملين في هذا المجال الى حد تدني انتاجهم.

اذ ان عدم وجود فلسفة واضحة للخدمة الاجتماعية في الوطن العربي ادى الى وجود واقع متباين ومجزأ للمؤسسات الخدمة الاجتماعية. حيث نجد ان نشاط ودور بعض المؤسسات الاجتماعية يقتصر دورها على تقديم بعض المعونات للمحتاجين والضعفاء. اذ ان تلك المؤسسات تتصور ان الخدمة الاجتماعية تقوم على البر والاحسان وترتكز اساسا على المبادرات الفردية الذاتية والذي يقع تمويله عن طريق بعض المحسنين. ولكن هاته المؤسسات تعاني في الوقت الحاضر من الركود نظرا لغياب المعولين لها.

وهناك مؤسسات اخرى، متأثرة ببعض الفلسفات الاجتماعية، تنادي بضرورة مشاركة القطاع العام غير انه ليست لديها رؤية واضحة لما هو موجود وما يجب ان تكون عليه الخدمة الاجتماعية.

وهناك نوع ثالث من المؤسسات الاجتماعية التي تحاول جاهدة لخلق عقلية جديدة لدى الجماهير العربية قابلة لمختلف الخدمات الاجتماعية التي تقدمها مهنة الخدمة الاجتماعية كما تعمل هاته المؤسسات الى تطوير مناهج واساليب الخدمة الاجتماعية للواقع العربي... ولكن هاته المؤسسات ليست بكثيرة! كما نسجل ايضا ثلاث اتجاهات رئيسية لمسار الخدمة الاجتماعية ومؤسساتها في الوطن العربي.

1 - الاتجاه العلاجي : ذلك ان بعض الخدمات الاجتماعية التي يقع اسداءها نتجه نحو الفرد دون ان تهتم او تتعدى الى المحيط والبيئة الاجتماعية التي يعيش بها الفرد والتي يمكن ان تكون المنسببة في ظهور المشكلة الاجتماعية.

2 - الاتجاه الوقائي : ذلك ان بعض الخدمات الاجتماعية او التدخلات الاجتماعية نتجه الى حماية المواطنين والاسر والجماعات من الوقوع في بعض المشكلات الاجتماعية مثل الخدمات الصحية والوقائية كالتلقيح.

3 - الاتجاه التنموي : هناك خدمات تسدي الى بعض الحالات الاجتماعية مع مراعات ترابط مفهوم الخدمات الاجتماعية مع قضايا التنمية الشاملة للبلاد مع تحليل المشكلات التي تؤدي الى اللخلل الاجتماعي الذي يستوجب الرعاية : مثلا التدخل لقائدة المعاقين وتمكينهم من موارد رزق لجعلهم عناصر انتاج.

## ARCHIVE

مركز الإقامة

<http://archivebeta.sakhr.it.com>

دار الشباب سليانة



طاقة الاستيعاب بالنسبة للنوم 70

طاقة الاستيعاب بالنسبة للأكل 150

الإقامة للفرايدي والمجموعات : منظمات الشباب - الجمعيات الرياضية -

الفرق المسرحية والموسيقية - الوفود الاجنبية للشباب ...

الاكل : للمجموعات فقط مع الحجز مسبقا (10 أشخاص فما فوق) -

الهاتف : 70.871 (08)

العنوان : دار الشباب سليانة

## الليلة «الصفرة» من ليالي ابي الفتح

شعر / عبد الرؤوف بوفتح

....

بيننا،

وتر واحد للتعَب ..

بيننا قمر لو تشقَّق نصفين .. أنت السبب

«خيرزاد» وهذا المساء / النحاس .

أَيَّ سرَّ تخبأ في الرجلين ،

وكيف تقمص عشب الخرافات .. هذين .. ؟

....

كان الخريف يجمّعنا كالغمام على قلق واحد ، خلفنا الريح والنبه  
والانجراف .. اين نمضي ؟ وفي اي منعطف نتعانق .. في اي انشئ نلّم  
طفولتنا ، ونعيد الى القلب مجراه ..؟؟

كان الخريف لذيذاً .. وكنا كأخر نجمتين في قفص الفجر نعدو .. الي  
اين ؟ والشفق الآن ينهض من وردة الحلم ، يلبس ثوب الندى . قد نمس  
سراويله الملكية حين يجرجرنا الصمت والفرح المستحيل الى لحظة آفله  
.. قد نظلّ على شجر الخوف نغزل اغصانه قفصا ونموت وحيدين ملتحفين  
بغريبتنا .. بالخانات .. هل نتشابه يا صاحبي ؟ هل أصابك برقي ونمت على  
عطش البحر فاشتعل الماء بالماء ؟ هل نركب الآن دهشة موج وأرحل فيك  
لنرحل بي ؟ هل سألت معي :

- أي لون نكون ؟ .

- وأي المواسم نعني ؟؟

- وأي الأنامل تمسكنا ؟؟؟

«خيرزاد» كما الصبح من دمها يطلع الضوء .. من دمها تتطيّب .. من  
دمها اشرفت .

هل رأيت نوافذ غرفتها حين لمت ستائر أوجاعنا ، فتداعى نسيج الكلام



حريرا .. وجاءت ملائكة الليل للعرس حيث الصباح على ركبتي «خيرزاد»  
وحيث نموت هناك ..

- فلا صبح حتى أراها كليمونة في يدي .. وانائي : فمي .  
لن أمرّ الى الصبح حتى أراها كساقية تخذت من دمي جهة للذهول ..  
(يا صاحبي الذي يمتطي قلقي لن اكون من المنظرين .. فحيني على ركبتيها  
، ومشنقتي صمتها ، وأنا اتحسس ثلج ابتسامتها ... وأخايل دهشتها ..  
وأضيع كهذي النوارس في مهمه البحر - في رسمها - اذ بدت في هدوء  
المجاهل مشتعلة .. )

- كن معي ايها الصبح منخرطا ..  
في موائد غربتها .

لترى ركبتيها .. وهذا الزمان الذي لن يفر اليه الفرح ..

.....

«خيرزاد» تحبّ النّوارس والموت،

في قفص دون باب،

النّوارس



ترقص في شكل زوبعة وانتحار ...

وأنا — خارج — من حريقي لابلحّث عن لولب للكلام ..

.....

كنت وحدي بلا أغنية

اشرب «الشاي» ... يقرؤني وجع كالحمام أطل من النّافذة ..

(امعي) كنت مشتبكا في ظلامي ، اعد النجوم التي سقطت .. واشم لهيب

التي قد تضيء ..

(امعي) كنت مشتتلا في خرابي،

أوسد بعضي لبعضي ،

وأرسم من حجر الحلم سهمي ..

وقوسي ذراعي .

....  
هناك حديقة ..  
حمام .. ونافذة ..  
اي عشب الخرافات يفجؤني ؟  
.. أين امضي ؟  
...  
إلى لحظة آفله ...

هامش

● طريقة كتابة هذه القصيدة حتمتها حالة معينة ، وهي أمور ذوقية فقط .



يسرنا ان نذكر قراءنا الاعزاء بأن ما ينشر بـ «الاتحاف» لا يلزم  
الاصاحبه، وان كلمة المجلة هي وحدها التي تعبر عن رأي أسرة المجلة .

## بيان العوامل المؤدية الى نزول القرآن منجما

بقلم : عبد الكريم العطاوي

أ - ما السر في ظهور رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

ليس من غرضنا - في هذا الموضوع - ان نلم بتاريخ الامم المحيطة بالجزيرة العربية عامة، وبالقبايل العربية خاصة، زمن البعثة المحمدية. ولكن غرضنا هو ابراز الخطوط العريضة التي عملت على ظهور الرسالة المحمدية في زمن، امتازت فيه الحياة الاجتماعية العربية والعالمية بالاضطراب والانحطاط والتعقيد مما جعلها معروفة بسلوك مشين تمثلت في : ظلم فادح، واعتداء صارخ، وانانية مفرطة، وحب كبير للذات، واستعباد مقبوت للضعفاء، وطغيان قاحش من الاباطيل القائلة للعقول، وذهول عميق عن نور الحق، وحب مكين للاخذ بالنار، وسخافة بسيطة من العبادات، وغيرها كثير.

كل هذه العادات المذكورة، الذل التي ايجاد نظام جائر وجاهل، لا يعرف ولا يعطي للقيم الانسانية حقها وتقديرها، مما جعله ينتظر هزة عنيفة، تأتي على بنانه المتداعي للسقوط، وتحل محله نظاما اسلاميا حضاريا جديدا، يعطي للانسان قيمته، ويراعي فطرته وميوله ومداركه، وتطلعاته الانسانية الحققة، فيأخذ بيده الى شاطئ السلامة، ويبعد عنه كابوس الجهل وداء العظمة البغيض، ويحل محله اعادة الطمأنينة والثقة الى ذاته الضعيفة، ويدله الى رشد يقيمه على الطريق التي سنها الله له : «وهديناه النجدين» (1) ليبلغ بسلوكه مبلغ الكمال، ويصل بمستواه الى ما اعد له في الدارين، قال تعالى : «وايتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين» (2).

وإذا كان ذلك كذلك فإننا مضطرون لبيان الحالة الاجتماعية العربية والعالمية في ذلك الوقت بالذات.

(1) البلد - 10.

(2) القصص - 77.

## ب . الحالة الاجتماعية العربية قبل البعثة المحمدية بقليل :

كانت الامة العربية قبائل متنافرة، خاضعة للشهوات والاعراض الذاتية، سائرة في اتجاه معوج، متمسكة بخصال ذميمة، كالفخر والاعتداء، وسفك الدماء، وسبي النساء، وسلب الاموال، واد البنات، تخلصا من عار حياتهن او تنصلا من نفقاتهن، وشن حروب طويلة تمتد الى اربعين سنة كحرب البسوس وداحس والغبراء، تأكل الاخضر و اليابس، وتثار لاتفه الاشياء، وعبادة سخيفة، تدل على سذاجة عقولهم، اذ كانوا يصنعون اصناما من الحلوى ليعبدها حيناً، وليأكلوها حيناً آخر، ان احسوا بوجدان الجوع، كما انهم بلغوا ايضاً من تضعض الاخلاق، وهنا لا يعرف له مثيلاً، فكان الاعتداء على الشرف سنة جائزة في حياتهم الاجتماعية، وكان ادمانهم على شرب الخمر عادة مألوفة لديهم في مناسبات اجتماعاتهم، فيتغنون بها، ويؤلفون في شانها قصائد عديدة من الاشعار، حتى سميت بالخمريات.

وكانوا الى جانب ذلك، يتصفون ببعض العادات الحسنة مثل : الكرم، والايثار، واعانة المظلوم، وحفظ الامانة، والشجاعة، لكن مع هذا كله، كانت السمة السلبية طاغية على حياتهم العامة، مؤثرة في نظامهم الاجتماعي، فادت به الى تفككه، وتراخي عقده، وانفصام عراه عند كل قبيلة، مما جعله يزو برنوياته المزدوجة الضعيفة الى نظام ثوري اسلامي، ليأخذ بيده، ويعيد بناءه وفق نظرية اصلاحية واقعية، تمتاز بالشمول والعموم في توجهاتها وحركيتها الفاعلة في ذلك البناء الجديد، مندفعة برصيد من المبادئ السامية المتمثلة في نصرة الحق، واعانة الفقراء، واغاثة الملهوفين، وتحرير الامم من نير العبودية، وتحقيق الحرية للجميع، وعبادة الله واحد.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كل ذلك يتم في نظام تربوي تدريجي، ينزل - تبعاً - وفق الحاجة الاجتماعية المضطرة اليه يطبعها ، وبذلك كان العرب المسلمون بحق - خير امة على وجه البسيطة كما قال سبحانه وتعالى : «كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (3).

«لنمسكهم بالحنفية السمحة، حتى كانوا خير حافظ لها، واول داع اليها، لانهم فتحوا قلوبهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، واصغوا اليه، والتفوا حوله ينهلون من المعين الذي لا ينضب... وهكذا تظافر العامل الفطري الذي تميز به العرب مع العامل المكتسب الجديد الروحي، فظهر الرعيل الاول الذي حمل مشعل النور والحق الى العالم» (4).

## ج . الحالة الاجتماعية العالمية قبل البعثة المحمدية بقليل :

كانت دولتنا العالم : دولة الفرس في الشرق، ودولة الرومان في الغرب في تنازع

(3) ال عمران - 100.

(4) انظر : السنة قبل التدوين 14.13.

مستمر، تجسم في حروب متواصلة، ودماء مسفوكة، وخسائر بشرية وحضارية منهوكة، وظلم اجتماعي مشين متمثلاً في حياة الزهو، والترف، والمجون، والتعالي، والتفنن في الملاذ، بالغا حدا لا يوصف في قصور الملوك والسلاطين والأمراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة، والذي زاد في الطين بلة، هو أكل أموال الناس بالباطل من لدن الخاصة الذين انتقلوا كاهل الرعية بالانათات والضرائب في غير محلها، وتبعاً لذلك استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر، والذل، والاستكانة، والخوف، والاضطراب النفسي، لفقدان الأمن على الأرواح والأموال، حتى غدت الجماهير العريضة كيبادق شطرنج يديرها لاعبيها كما يشاء، وفقدت بذلك الاستقلال الشخصي، وظن أفراد الرعايا أنهم لم يخلقوا إلا لخدمة ساداتهم، وتوفير لذاتهم، شأنهم كشأن الجوّاري مع من يقننهم، ظلت تلك الحالة ردها من الزمن، حتى لاح في الأفق بصيص من النور الإلهي، ففك الغلف التي احاطت بالقلوب، ومزق الحجب التي اسدلت على العقول، فاهتدت العامة، وثار الجم الغفير على العدد القليل، بفعل ظهور رسالة الاسلام المتمثلة في نزول القرآن المعجزة المؤيدة لصنق الرسول، والتي كانت تعالج المشاكل الاجتماعية بمرحلة متدرجة حكيمة وهادفة، حسب علم الهي شامل... فاخرجت تلك المجتمعات العالمية من الشرك والظلم الى التوحيد والعدل، بواسطة رجل امي، صطفاه الله تعالى لحمل رسالته الى جميع الناس بدون استثناء، قال تعالى : «قل يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعا» (5) وقال : «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (6).

#### د - ظهور محمد صلى الله عليه وسلم :

وفي الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول عام الفيل (7) (20 ابريل سنة 571م)، ولد

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(5) الاعراف . 158 .

(6) سبأ . 28 .

(7) عام الفيل : سببه ان ابرهة الحبشي، بنى كنيسة بصنعاء، وزخرفها لتكون بديلا عن مكة المكرمة، وليصرف اليها الحجيج، لكن هذا العمل اثار حفيظة العرب، فخرج رجل من بني مالك بن كنانة، حتى قدم اليمن، ودخل الكنيسة وعبث باناثها، وانتهك حرمتها، فغضب ابرهة، وأقسم على تهديم الكنعة، وجهاز جيشا عظيما من الاحباش، وسير امامه الفيلة، ويعم شطر الكنعة، وعسكر بقربها في مكان يعان له القمص، حيث دارت المناوشات بين الاحباش والعرب، وفي اثناء ذلك اصاب جنده مانتى بعير لعبد المطلب، ولما ارسل اليه فقدم اليه عبد المطلب، وقال لابرهة : «حاجتي الى الملك ان يرد علي مانتى بعيرا أصابها لي، فاجابه ابرهة : كنت اعجبتي حين رأيتك، ثم زهدت فيك، حين كلمتني، انتكمتني في مانتى بعير قد اصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين اباك قد جئت لتهدمه لا لتكلمني فيه: قال له عبد المطلب : اني انا رب الابل، وان لبيت ربنا سميعة»، ثم عرض عبد المطلب ثلثي اموال تهامة على ان يرجع عن مكة ولا يهدم البيت، فابى، فخرج حائفا ومر بالكعبة واتشد قائلا :

يا رب لا ارجو لهم سواك يا رب قامنـع منهم حماكـا  
ان عدو البـيـت من عاداك امنعهم أن يخربـوا قراكـا

وبذلك ارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها : حجر في منقاره، وحجر في رجليه امثال الحمص والعدس لا تصيب منهم احدا الا هلك، وقد ورد ذكره في سورة الفيل : «الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (1) ألم يجعل كيدهم في تضليل (2) وأرسل عليهم طيرا أبابيل (3) ترميهم بحجارة من سجيل (4) فجعلهم كعصف مأكول (5)».

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي بمكة، يتيما حيث توفي أبوه قبل أن يولد ولم يترك له من المال الا خمس جمال وبعض نعاج وجارية، وفي السنة السادسة من عمره، فقد والدته أمنة بنت وهب ايضا فأحتضنه جده عبد المطلب وبعد سنتين من كفالته، توفي جده، فكلفه من بعده عمه ابو طالب الذي كان لا يملك كفاف أهله.

وكان صلى الله عليه وسلم، على ما به من يتم وفقر، لم يسلم منه الكافل والمكفول، ولم يحم على تربيته مهذب، ولم يعن بتثقيفه مؤدب، عاش بين اتراب من نبت الجاهلية، واولياء من عبدة الاوثان وأقرباء من حفدة الاصنام. غير انه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا وفضيلة، حتى عرف بين اهل مكة، وهو في ريعان شبابه بالأمين، فسلمته العناية الالهية بالرعاية المتواصلة : «فاكتهل صلى الله عليه وسلم كاملا، والقوم ناقصون، رفيعا للناس منحطون، موحدا وهم وثنيون، صحيح الاعتقاد وهم واهمون، مطبوعا على الخير وهم به جاهلون وعن سبيله عادلون» (8).

من الطبيعي ان يتيما فقيرا اميا مثله، شب في وسط جاهلي وثني، لا كتاب يرشده، ولا استاذ ينهيه، فلو جرى الامر فيه على جاري السنن الطبيعية، لنشأ على عقائدهم، وتمذهب بمذاهبهم، لكن الامر لم يجر على طبيعته، بل بغضت اليه الوثنية من أول عمره، فعالجته طهارة العقيدة، ورعاه، موجد الكون برعايته، كما جاء في قوله تعالى : «ووجدك ضالا فهدى» (9).

فقد هدى الله نبيه الى ما كانت تتلمسه بصيرته، واختاره من بين خلقه لتقرير شريعته (10).

عمل صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها في تجارتها، فاختارته بعد ذلك زوجا لها، وكان ذلك المال الذي تحصل عليه عوناً له، على قضاء مآربه الدينية، فلم ترقه الدنيا، ولم تغره زخارفها، بل بغضت اليه، ونما فيه حب الانفراد والانقطاع الى الفكر والمراقبة، والتحنن بمناجاة الله تعالى، والتوسل اليه في طلب المخرج من همه الأعظم في تخلص قومه، ونجاة العالم من الشر الذي تولاها الى ان انفق له الحجاب (11) عن عالم كان يحته عليه الالهام الالهي، فتجلى له النور القدسي فجأة، متمثلا في نزول القران الى العالم العلوي دفعة واحدة في سجل جامع شامل، عرف باللوح المحفوظ، ومنه الى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم منها الى الرسول عليه الصلاة والسلام.

(8) انظر رسالة التوحيد للامام محمد عبده، 159.

(9) الضحي - 7.

(10) رسالة التوحيد - 120، 119.

(11) رسالة التوحيد - 120.

## الخلاصة :

يتضح لنا مما سبق، ان تلك العوامل الاجتماعية الكائنة بالجزيرة العربية والمحيط بها - وما عليها من انخرام خلقي وانحطاط فكري وتفكك بنيوي - كانت ترنو بطبيعتها المضطرب الى ثورة اجتماعية تغير ما في مجالها مرة واحدة، وتبعث في نفوس افرادها اليقظة والطمأنينة - ومن ثم - النهضة والايحاء والمحبة والوحدة والقوة.

وقد تجسست هذه الثورة الاجتماعية في الرسالة الاسلامية التي جاء بها رجل امي اصطفاه الله تعالى لتبليغ رسالته الى كافة الناس بدون استثناء والخراجهم من الظلمات الى النور. وقد حقق الله تعالى ما اراد لها واستطاعت في لمح البصر ان تحدث هزة عنيفة في تلك المجتمعات، وتربط بينهم بحبل متين وتجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا بفعل ما احتوت عليه من معجزات معنوية عقلية لزال ما بنفوسهم من امراض اجتماعية واحلت محلها شيما رفيعة اخلاقا سامية ومبادئ عظيمة نالت تقدير واعجاب كل المفكرين على مختلف مشاربهم الفكرية.



تقرأ في الاعداد القادمة

- الحلقة المفقودة في مجتمع اليوم

محمد التوهامي الحمادي

## خواطر حول الشباب بمناسبة السنة العالمية للشباب

بقلم : رشيد شعبان

بسم الله الرحمن الرحيم :

طلعت بكل سرور في العدد الثاني من مجلة «الاتحاد» الفنية الموضوع المتعلق بحقوق الطفل من خلال النظرة الاسلامية بقلم الاخ خميس ذياب ، ووددت - انعاما للفائدة - أن أوصل الحديث - بمناسبة السنة العالمية للشباب - عن موضوع الاطفال والشباب في الاسلام وفي العالم الغربي .

شعورا من جل شعوب الدنيا قاطبة بأهمية الشباب تحتفل المجموعة الدولية - هذا العام - بالسنة الدولية للشباب ، هذا الجيل الذي يمثل المستقبل بطموحاته وتطلعاته وتوجهاته ، اذ هو الذي سيجمل المشعل - متسلحا بالفنوة والقوة وحب الاكتشاف والمغامرة - ليوصل المسيرة - مستقيدا من تجارب السلف ، لبناء الغد الافضل .

من أجل ذلك كان الاهتمام بالشباب ومسيرته ومستقبله الشغل الشاغل للهيئة الاممية هذا العام ، ولعل السبب الرئيسي لهذه البادرة ما لاحظه المفكرون والعلماء ، وأصحاب الراي والنهي من مظاهر تفسخ الشباب وميوعته واستخفافه بالمبادئ الرئيسية للامرة والاصول والاخلاق ، واغترابه عن مجتمعه وتقاليده؛ فتعالت صيحات الفرع - في المجتمعات - الغربية المصنعة خاصة - منادية بانتشال الشباب من دوامة الضياع ملقية مسؤولية هذا الوضع على الامرة ، التي افلتت زمام الامور من يدها ولم تقم بواجب التربية ، ثم على المدرسة التي عجزت عن اعطاء الغذاء الروحي والاخلاقي للجيل الصاعد ، مما نشأ عنه هذا الفراغ وهذا الانحراف ، واصبح تصحيح الوضع امرا محتما بعدما وصل الاستخفاف والتهاون بتربية الشباب إلى تهديد الدول بالانحلال والتمزق .

فقد كثرت جرائم العنف والسطو المسلح والممرقات المنظمة والتعدي على المواطنين الامنين وسلبهم والتنكيل بهم .



واستفحل داء تعاطي المخدرات والمسكرات وتفشى في اوساط الشباب بطبقاته الفقيرة والغنية واستشرى امره في الفتيات بعدما كان مقتصرًا على الفتيان . ونتج عن ذلك الفساد وتعاطي الجنس في سن مبكرة ، وكثر البغاء والاغتصاب وازدادت نسبة الولادات غير الشرعية رغم استعمال مختلف وسائل منع العمل (الرخيصة الثمن) ، ووقفت أقوى دول العالم المتحضر عاجزة عن درء الداء ، وارجاع الشباب الى الجادة ، ولم تدف القوانين الجزية والاجراءات الردعية في التخفيف من سورة هذا الوضع المتردي ، بل بالعكس تكونت منظمات ارهابية تتعاون على الاثم والعدوان وتعتبر الخروج عن القوانين انتصارا على الدولة ، والتعدي على الناس شجاعة واقداما ...

واستفاقت الدول اليوم - بعد أن بينت الاحصائيات نسب الجرائم والجنايات ومدى تأثيرها على حياة المجموعة - لتقف وقفة تصحيحية تعيد للدولة اعتبارها وللشباب مكانته ، فكان هذا العام هو السنة الدولية للشباب الهدف منها توعية الجيل الصاعد وتنقيفه وتوجيهه الوجهة الحسنة ، واستغلال طاقته الخلاقة ، وشبابه المبدع ، وطموحه الكبير ، لما ينفع البلاد والعباد .

على أننا اذا نظرنا الى المجتمع الاسلامي ، وفلسفته في تربية الشباب نرى أنه قضى على اصل الداء قبل وجوده ، وقضى على أسباب الفساد قبل وقوعه وذلك باعتماده جملة من المبادئ والاسس ، التي بها تتكون الاسرة الصالحة والمجتمع المتماسك الصالح ، ومن بين هذه المبادئ في نظري :

#### 1 - اختيار الزوجة : التي ستكون الام مستقبلا :

لم يقتصر الاسلام على تربية الاطفال بعد ولادتهم ، بل حث الاءاء على انتقاء الزوجات امهات المستقبل ، وبذلك تكون البداية طيبة . فقد روى ابن ماجة والدارقطني والحاكم ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إياكم وخضراء الدمن ، قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء» .

فالاسلام منذ البداية يتخير للولد الرحم الصالح ، والام الشريفة الكريمة التي تحسن التربية وتنشئ الرجال الصالحين ، وهذا الانتقاء الذي وجه اليه

رسول الله أثبت علم الوراثة حديثا إذ يقول : ان الطفل يكتسب صفات ابويه الخلقية والجسدية والعقلية . فاذا كان الاختيار على اساس الاصل والشرف والصلاح فلا شك أن الاولاد ينشؤون على الاستقامة والعفة والطهارة، وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة والتربية الفاضلة يصل الى اعلى مراتب الفضيلة والخلق ، وانظر كيف تشيع الرعييل الاول من المؤمنين بهذه المبادئ ، فقد جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه عقوق ابنه ، فاحضر عمر الولد وابنه علي عقوقه لابيهِ . فقال الولد : يا أمير المؤمنين اليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى . قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : ان ينتقي امه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب . اي القران . قال الولد : يا أمير المؤمنين : ان ابي لم يفعل شيئا من ذلك . اما امي فانها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جعلا (اي خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا . فالتفت عمر الى الرجل وقال له : جئت الي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك واسأت اليه قبل أن يسيء اليك» .

هذه اللبنة الاولى اذن في صرح المجتمع الاسلامي ، وهذه الخطوة المبدئية في تكوين الامة المتماسكة القوية .

ARCHIVE : II . التربية :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(أ) العاطفة :

تنطلق تربية الاطفال في الاسلام من مبدا الرحمة والعطف الفياض والملاطفة ، هذه المبادئ تعتبر في علم نفس الطفل اهم عناصر التوازن في شخصيته في المستقبل . وقد ارشد القران الى ان الابناء هم «قرة اعين» وهم كذلك «زينة الحياة الدنيا» . وقد روى ابو داود والترمذي عن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا» وقد كان الرسول القدوة الحسنة في الرحمة والعطف ، وقد ثبت ان ابن ابنته كان يرتحله - اي يركب ظهره - وهو في الصلاة فيطيل السجود حتى يمهله ولا يسقطه ...

ومن مظاهر العطف ايضا العدل بين الابناء حتى لا يشعروا بالغيرة او الايثار مما يسبب الحقد او الانزواء والانطواء على النفس ، وقد روت السنة المطهرة نماذج من هذه التربية الصحيحة ، فقد روي البخاري ومسلم عن

النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني نحلته ابني هذا - اي اعطيته - غلاما كان لي. فقال الرسول (ص) : «أكل ولد نحلته مثل هذا؟ فقال : لا. فقال رسول الله (ص) فلا تشهدني إذن، فإني لا أشهد على جور - أي ظلم - ثم قال : أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال : بلى . قال : فلا إذن .

وروى انس أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه. فقال صلى الله عليه وسلم : «الا سويت بينهما» .

فالعادل بين الابناء يشمل كذلك العدل بين الذكور والاناث ، وتوفير فرص التعليم والثقافة والادب للجنسين دون تمييز او تفريق .

#### ب - التعليم :

حمل الاسلام الاولياء مسؤولية تعليم ابنائهم وتنشئتهم على الاخذ من معين العلم والثقافة حتى يبرز النبوغ وتظهر العبقرية ، ومن المعلوم تاريخيا ان اول اية نزلت في القرآن هي قول الله تعالى : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» كما ان التاريخ سجل كيف فدى رسول الله (ص) مشركي بدر مقابل تعليم اولاد المسلمين، فاعطى بذلك أعظم قيمة وأشرف مكانة للعلم... كما جعل الاسلام التعليم الزاميا منذ الصغر ، فقد روى ابن ماجة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» اي بجنسيه الذكر والانثى ، وفي مراحل الطفولة الاولى يكون الولد اصفى ذهنا واغوى ذاكرة وانشط تعليميا وفي ذلك يقول الرسول : «العلم في الصغر كالنقش على الحجر» رواه الطبري في الاوسط عن ابي الدرداء . كما جعل الاسلام التعلم يرجع بالنفع على صاحبه في حياته وبعد موته ونفهم ذلك من قول الرسول الاكرم : «اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ...» رواه مسلم عن أبي هريرة .

ومما يتصل بتعليم الشباب موضوع التربية الجنسية فقد حرص الاسلام على توعية الشاب ومصارحته منذ أن يعقل بالقضايا التي تتعلق بالجنس

والغريزة حتى اذا شب واشتد عوده عرف الحلال من الحرام وانتهج السلوك القويم بعيدا عن الاغراء والفتنة التي ادت بكثير من شباب العالم الغربي الى الفوضى الجنسية والفساد الخلقي ، وانتشار ظاهرة الفتيات الامهات . فقد عمل الاسلام - ومنذ البداية - على تجنب هذه المشاكل فامر في مرحلة الطفولة بالتفريق بين الجنسين في المضاجع فقد روى الحاكم وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مروا أولادكم بالصلاة لسبع ... وفرقوا بينهم في المضاجع» كما امر الاسلام بغض البصر درءا للمفسدة وإبعادا للخطر . قال الله تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ...» وقال ايضا : «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن» (النور 29 و30) وهكذا ينشأ الولد على الحياء الممدوح والسلوك الاجتماعي الرفيع . ثم اذا تقدم الشاب في السن امره الاسلام بالاستئذان قال تعالى : «يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاثة مرات ، من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاثة عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح ، بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض» النور 56 .

وقال تعالى : «واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم» (النور 57) .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقد جاء في السنة المطهرة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أأستأذن على أمي ؟ فقال الرسول نعم . قال : انها لا تجد من يخدمها غيري فأستأذن عليها ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا . قال : فاستأذن» .

هكذا اذن تدرأ المفاصد ، وتقضى على الفتنة قبل استفحالها ، ويتعود الشباب على الحياء والحشمة والاحترام فتنشأ في نفوسهم المناعة ضد جرائم الفساد والانحلال والتسيب الذي نراه منتشرًا اليوم في عامة الدول - المتحضرة - وتبحث له عن علاج .

ج - التربية الحسنة :

اعتبر الاسلام تربية الابناء واجبا دينيا يثاب على فعله ويعاقب على تركه وبذلك تقرر حسن التربية بالثواب والعقاب أي بالناحية الروحية وقد قال

رسول الله (ص) : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته ...» .

كما يقول الرسول (ص) : «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم» .

ويقول في شأن تربية البنات : «من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها ، ورباها فأحسن تربيتها ، وغذاها فأحسن غذاها ، كانت له وقاية من النار» .

والطفل يولد على الفطرة - كصفحة بيضاء - وهو قابل لحسن التربية ، فعلى الاولياء أن يستغلوا هذه الفطرة ليوجهوا أولادهم نحو الخير والفضل والرشاد ، حتى اذا اشتد عودهم كان رصيدهم الاخلاقي طيبا يستمد جزوره من تربية اسلامية صحيحة ومتينة ومن توجيه عائلي حسن .

والتربية يجب أن تشمل العقل والروح والبدن . فتربية العقل تكون بتهيئة الطفل ليكون سليم الفكر قادرا على النظر والتفكير ، متعلما . وتربية الروح تكون باعطائه المثل الصالح وتكوينه بمبادئ الدين وحسن الخلق . وتغذية عواطفه بحب الخير وبغض الشر ، وتربية البدن تكون بتعويد الطفل النظافة واداب الاكل ، وممارسة الرياضة ، والابتعاد عن الاسراف الخ ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

III - تعويد الشباب تحمل المسؤولية :

تقترن كلمة الشباب بالطموح وحب المغامرة ، غير أن هذا الطموح أسيء فهمه من قبل بعض المربين ، فمنهم من يرى ان الشباب شعلة سريع انطفائها ، قليل جدواها لذلك يجب ان لا يحمل مسؤولية حتى يأخذ من تجارب الكبار ويتمرس ويقارع الخطوب ومنهم من يرى عكس ذلك ، وأنه بمجرد بلوغ الشاب او الشابة سن الرشد عليه ان يتحمل مسؤولياته وان يواجه الحياة ، وعليه أن يتعلم من أخطائه ؛ وتوجيهه يعتبر تدخلا في شؤونه وتسلطا على شخصيته ، وفي كلتا النظريتين بعد عن الصواب او تفريط وافراط . والاسلام يقف موقفا وسطا بين ذلك فهو يوجه الشاب الوجهة الحسنة ويربيه التربية المثلى ، ويفتح عقله وذهنه وعواطفه ، ثم يحمله المسؤولية الواعية ، معتمدا على فتوته ، وفاتحا له المجال للتجربة وموفرا له الفرصة لحمل المشعل - وبذلك يقع القضاء على الحروب المستعرة بين

الشباب والكهول التي نراها اليوم في العالم المتحضر ولنا في السيرة النبوية العطرة خير مثال .

فقد أمر رسول الله (ص) اسامة بن زيد على جيش المسلمين وفيه كبار الصحابة امثال ابي بكر وعمر حتى قال بعض الناس : «لقد أمر الرسول غلاما حدثا على جلة المهاجرين والانصار» ولما سمع الرسول بذلك - وكان ذلك في مرض موته - خرج عاصبا راسه وقال : «ايها الناس أنفذوا بعث اسامة ، فلعمري لنن قلتم في امارته ، لقد قلتم في اماره ابيه من قبله ، وانه خليف للامارة وان كان أبوه لخليفة بها» . (سيرة ابن هشام ج 4 ص 146) .

تلك هي تعاليم الاسلام - ترابط الاجيال - على المحبة والاحترام ، والرحمة والوقار ، الصغير يوقر الكبير والكبير يرحم الصغير ، كل يعترف لصاحبه بالفضل ، فالشباب يعترف للكهل بسعة الاطلاع وكثرة التجارب والكبير يعترف للصغير بالقوة والفتوة والطموح - وفي ظل هذه الثقة المتبادلة ينمو المجتمع وتزول الاحقاد ، ويشعر الشباب بالفضل لابائهم فيبروهم ، ويشعر الاباء بفضل ابنائهم وقرة اعينهم فيمهدوا لهم السبيل لحمل المشعل من بعدهم ليكونوا خير خلف لخير سلفا ، وترتبط الاجيال وتنمو الاسر والمجتمعات .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

انني ادعو شباب العالم الاسلامي - في السنة العالمية للشباب - للاخذ من معين حضارتهم ودينهم حتى يبرهنوا لشباب العالم ان القوة المادية لا تثبت ان تنهار امام انحلال الاسر والمجتمعات ، وأن القوة الحقيقية للشباب هي التي تستمد من الاخلاق الفاضلة ومن مبادئ الدين القويم ، ومن الحضارة المبنية على اسس المحبة والتعاطف والتراحم .

فعلى الاباء أن يجعلوا نصب أعينهم قول الله تعالى : «ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين» (الفرقان 74) وقوله تعالى : «يا ايها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا» (التحريم 6) وعلى الشباب ان يجعلوا نصب أعينهم قوله تعالى : «وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا» (الاسراء 24) وقوله تعالى : «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم» (الحشر 10) .

# الانسان والايمان

بقلم : عثمان اليحيوي

ان اهم ما يميز العقيدة السماوية المنزلة عن العقيدة الوضعية المستحدثة مصدر الايمان عندهما اذ نجد في الاولى ينبعث من داخل النفس الانسانية فيزيل منها ما ران عليها من صدأ المادة وما علق بها من ادران التكالب على الدنيا ويحيي فيها اسباب السعادة الحقيقية بايجاد التوازن والتلازم بين المادة والروح. بينما نجد في الثانية ينبعث من خارج النفس الانسانية ولا يستقر فيها الا بعد التجربة الحسية وهذا ما يتنافى مع طبيعة الايمان الذي هو في الواقع شعور باطني وجداني مقترن بوجود الانسان بداية. وهكذا فان الانسان - من خلال العقائد السماوية - في حاجة اكيدة وماسة الى الايمان لانه يعطي لحياته مذاقا ومعنى ويمنحها هدفا وغاية بخلاف العقائد الوضعية كالفلسفات التي تختلف فيها حاجة الانسان الى الايمان حسب ما هو عليه من معرفة او جهل.

ان ما يقوي في الانسان الشعور بانسانيته ويجعل لحياته بعدا اجتماعيا خالدا هو الايمان المنبعث من الداخل لانه يعمق فيه الاعتقاد الجازم بانه خليفة الله في الارض ووارثه فيها فيقبل على العمل الصالح والفعل الحسن، ومن افعه وعيه بوجود إله هو مصدر كل الموجودات بما فيها ذاته هو مهما اوتي من علم ومعرفة، بل يكون على يقين بان ما عنده من ملكات ومواهب هي نعم من بها عليه الله تعالى الامر الذي يجعل الناس يتفاضلون فيما ينفع البشرية ويحصل بالتالي ارادة تجنب ما يضر بها وهذا ما نزوم الوصول اليه والانتفاء عنده وهو ما يعوزنا في عالمنا المعاصر مما يدعونا الى مراجعة مقاييس تقييمنا للاشياء.

اما الايمان حسب العقائد الوضعية فلا يتعرض الى الجانب القبيي في هذا العالم بل يكتفي بالجانب الحاضر ويعمل على تأصيل كيان الانسان به ونحته نحتا فيقبل على الدنيا بنهم خال من الايمان خاو من الاعتقاد بوجود يوم الحساب لا يراعي في تحقيق ما تشجر فيه من نزوع الى الدون - حسب ما عنده من تصورات ايديولوجية - حرمانا ولا شرفا ولا كرامة ولا انسانية.

## الايمان والتكاليف :

اقترن الايمان بالتكاليف الواجبة على الانسان وهذا يتطلب علما ومعرفة والذي يزكياها ويهبها ويشجب ما يلحقها من تحريف هو الصدق وخاصة بالاعتقاد المبني على الايمان بوجهة نظر معينة الشيء الذي يعطي للانسان بعده المادي فقط فيبين معاملاته في هذه الحماة على اساس المصلحة الذاتية والمنفعة الشخصية فتنتفي المظاهر الانسانية من محبة ورحمة وعدل وتعاون واحترام وإخاء ومساواة وفي ظل هذه الاوضاع المتأزمة يقع تمرير ما يكثر صفو الحياة من استعمار وحروب طاحنة واستغلال فاحش. ولتجنب كل هذا اوجب الاسلام على المسلمين التسليم بالتكاليف الشرعية وغيرها كوجوب الايمان بالغيب وجعله ركنا من اركان العقيدة وان يكون مقترنا بالعمل فلا يكفي للانسان الاكتفاء بالاعتقاد القلبي

من انداخل بل يجب ان يقترن ذلك بعمل الجوارح وهذا ما اراده الرسول عليه السلام :  
«ليس الايمان بالتعني ولا بالتخلي ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل»

... ان حاجة الانسان الى الايمان الحقيقي المتلائم مع ما جبل عليه من نزوع الى التفاضل يجعلنا نؤكد على حتمية افتران الايمان بالتطبيق لانه يزرع في القلب الامل عند اليأس والصبر عند الشدائد والايثار عن النفس عند ميلها الى الانانية المقيتة وهذا ما ورد في قوله تعالى : «انه لا يباس، من روح الله إلا القوم الكافرون».

... ان الايمان من الداخل يجعل الانسان يستنكف من فعل المحرمات ويعرض عن الباطل مهما زين له ويتمسك بالمبادئ ولو تسببت في الحاق الضرر به احيانا ويستमित في الدفاع عنها ويعتبر الموت من اجلها استشهادا ولا سعادة لحياته الا بالعمل حسب ما تقرر له من اهداف انسانية... وشتان بين من يعمل من اجل بعد انساني وطني وبين من يعمل من اجل بعد ظرفي نفسي فذلك توهب له الحياة الخالدة وهذا تكون له النهاية بانتهائه المادي.

ولا غرو أنه من مشيئة الله الأزلية أن جعل الانسان روحا ومادة باعتباره خليفة في الارض، فانصرفت البشرية الى المعابد لتقديم القرابين وانتشرت في الارض لتوفر أسباب الحياة المادية، فعنصر الايمان في الواقع نجده الواضع الاصلي والاول لكيثونة الحياة ونزوعها نحو الافضل في أي مظهر عملي يصدر من لدن البشرية خلال، أي طور من اطوارها ويعتبر زيغها نحو الاسوأ في سجيئتها السليمة لأن البيئة الفاسدة أو خطئ العقل يبعدانها أحيانا عن الايمان الصحيح بالآلة وأخذ يسعى دائما الى خير وصلاح الدارين وهو التبراس الذي يضيء أمامه نذب الحياة خصوصا عندما تنزل به النوائب وتدلهم أمامه السبل، وتشد الظروف وتتعدّد أسباب الحياة فلا مرشد عندئذ غير الايمان، ولا هاديء من الشك الى اليقين سوى سلامة الاعتقاد والعمل به .

ونعتبر نظرية الجنس أو التفسير المادي للتاريخ أو العلمانية والوجودية الملحدة أو فكرة التمييز العنصري بمختلف مظاهره من استعمار مباشر وغير مباشر أو صهيونية متطرفة ومنغلقة على نفسها أو عنصرية مستندة الى ايدولوجية مادية أو عقلية منحلة حاملة انما هي أشكال ومظاهر متعددة لمراهقة فكرية عند بعضهم ممن طمس من ضميره الايمان فصار يهجو نفسه بنفسه لانه يتجه نحو الهدم لا الى البناء .. كما ان ما نلاحظه في مجتمعنا من انحلال خلقي او مادي او روحي في الاسرة والشارع والمدرسة (البيئات الثلاث) انما مرّده الاصلي إلى ضعف ايمان لانه اصل الاخلاق ونبعها الذي ينضب، فحري بنا ان نراجع بأنفسنا ونعتبر ما نحن فيه مدعاة لليقظة من اجل فجر جديد لا للنوم العميق الذي لا يؤدي الا لغد مظلم حالك السواد، فما احوجنا اليوم الى الايمان لنفوسنا وعقولنا وجوارحنا حتى تكون المطالبة بالحقوق سائرة في نسق متواز مع القيام بالواجبات .

ع - ٢



## التنشيط الثقافي أهم ركيزة للخلق والابداع

بقلم : الهاشمي شبيل

من أهم ركائز الثقافة على اختلاف مفاهيمها ما يسمى بالتنشيط الثقافي وهو في حد ذاته متشعب الحدود ، ضبابي التعريف لانه يخضع لرؤى مختلفة إذ لكل تصور الذاتي لنوعية التنشيط الثقافي ولطرق استغلاله انطلاقا من المخزون الادبيولوجي والمعرفي للفرد ، ومن الجائز أن يترتب على هذا بعض السلبيات أهمها العشوائية والاحتكار والفراغ التنشيطي وهذه متجعة تخلق فوضى ثقافية يكون لها تأثير على المادة الثقافية بنا وتقبلا .

إن التنشيط الثقافي عند الاغلبية هو وسيلة لقضاء وقت الفراغ وهذا الغلط عينه فهذا لا يعدو أن يكون الا جانبا منه والاهم من ذلك أن التنشيط الثقافي جزء من النظام الاقتصادي والاجتماعي .

لقد أصبح التنشيط الثقافي اليوم ضرورة من ضروريات الحياة نظرا للتطور الاقتصادي الناتج عن التطور العلمي والتقني وقد خلق هذا التطور السريع مع النمو الديموغرافي نوعا من الفوضى على الهرم الاجتماعي فالتطور العمراني السريع أوجب طريقة جديدة في التعايش والتعامل وأصبح من الضروري ايجاد المرافق الأساسية للتعليم والتثقيف حتى يستطيع الانسان التعود على هذه الكيفية الجديدة في العيش كما أن انتشار التعليم أوجب وجود مؤسسات لاستيعاب وخلق فرص الترفيه على النفس مع تحسين للمستوى الثقافي .

فالتنشيط الثقافي هو وسيلة للتعبير على قدرات الشخص وركيزة لرفع المستوى الثقافي للانسان وتنمية مواهبه والتعريف بها وهو الوسط المناسب لتفتح طاقات الخلق والابداع وهو الدرع الواقي من الافات الاجتماعية وأداة لتوثيق وحدة المجموعة .

للتنشيط الثقافي عدة وظائف اجتماعية منها التسلية والترفيه ، التشجيع على الخلق والابداع ، تنمية الموهبة ، تكميل التعليم المدرسي ، ادماج الشخص

في اطاره الاقتصادي والاجتماعي ، تعريف ونشر الانتاج الفكري والفني والعلمي ، التعارف بين الاشخاص وخلق صلة مودة بينهم .

لقد برزت أهمية التنشيط الثقافي في تونس منذ فجر الاستقلال مع انتشار مراكز مقاومة الامية وذلك للاحاطة بالمواطنين ووقايتهم من الافات الاجتماعية ، وبانتشار التعليم ارتفع مستوى الفكر تدريجيا مما رفع في الطلبات المتعلقة بالتنشيط الثقافي فتضاعفت رغبات الجمهور وتنوعت مجالات النشاط . فهناك من يرتاد الهياكل الثقافية قصد الترفيه عن النفس وهناك من يقبل على التنشيط الثقافي بحثا عن المزيد من المعرفة وثمة من يبحث عن تكميل تعليمه المدرسي والبعض يبغي مواصلة بحث علمي أو تنمية موهبة فيه ، هذا مع العلم وأن المقبلين على التنشيط الثقافي هم في أغلب الاحيان من أوساط وقطاعات مختلفة . لذا ، من الضروري في اعتقادنا ومحاولة لحصر هذا الواقع والتخفيف من حدته أن نتفق على مجموعة من العناصر والشروط تكون قاسما مشتركا واتفاقا أدنى من أجل رسالة ايجابية متكاملة يؤديها العمل الثقافي ويراعي فيها خصوصيات وهموم كل من الباعث والمتقبل ، وأن الاتفاق على ثلاثة عناصر رئيسية ننبثها فيما يلي يؤدي في اعتقادنا إلى عمل تنشيطي ايجابي .

<http://Archivebeta.sakhril.com>

(1) خلق مناخ ملائم يساعد المجموعة المنشطة على ابراز ميزة كل فرد انطلاقا من مبدأ علم التنشيط الثقافي هو عملية أخذ وعطاء أو افادة واستفادة وبهذا ينتفي الرأي المساند القائل بأن الطريقة المثلى في التنشيط تكمن في الاتفاق الجماعي على رأي او وسيلة تنشيطية ويصبح ايجابيا أن ينشط كل حسب طريقته انطلاقا من الرصيد المعرفي الذاتي وهذا ما يفضي إلى نقاش وحوار عماده المحاجة وماله الانقاع الموضوعي حيث لا مجال إلى أي ضغط مسلط من طرف المنشط على مجموع المتقبلين .

(2) العمل على تحسين المجموعة في اتجاه حب الاتصال وخلق علاقات يتسع مجالها مع اتساع محيط الفرد .

(3) الانتهاء بالفرد إلى التعود على ضرورة الابتكار الفني والخلق الجمالي .

هذه العناصر الثلاثة المجتمعة تساعد في اعتقادنا إذا على توسيع حلقة الاتصال الجماعي من أجل مناخ موات تظهر فيه التجارب المختلفة وتتفق عبره المواهب الكامنة لتتحسس الطريق نحو الانتشار الاوسع مجالا ، كما تساعد على خلق علاقات وروابط انسانية تجعل الفرد يدور في فلك جماعي بعيدا عن الاحساس بأي قيد أو حاجز يقف دونه والاخرين .

### من ميادين التنشيط :

ان اثبات بعض ميادين التنشيط دون سواها يخضع مباشرة حسب مفهومنا الى مدى ارتباطها وانصهارها ضمن العناصر الثلاثة التي ارتأيناها .

(1) الميدان الفني : فنون تشكيلية ، مسرح ، سينما ، موسيقى مثلا .

أغلب المتهافتين على هذه الجذوع الفنية هم اولئك الذين يبحثون على المزيد من المعلومات .

(2) الميدان العلمي الصرّف : الإلكترونيك ، الفيزيا والكيميا مثلا .

المقبلون على هذه الميادين يعملون عادة دافعهم حب البحث والتنقيب والامل في وجود وسائل ومعدات تساعدهم على تحقيق ذلك .

(3) الميدان الترفيهي : ألعاب فكرية ، عروض المسرح والسينما والموسيقى مثلا .

هي مجموعة من العروض تخضع إلى منطق العارض والمتفرج وبينهما المعروض يبحث من ورائها المتقبل عادة الترفيه والاستمتاع .

إن وبمنظرة ماسحة سريعة يتبين أن التنشيط الثقافي هو ميدان متشعب يخضع إلى أذواق مختلفة واهتمامات متباينة تباين الاعمال والاختصاصات والمشارب وهذا ما يجعل للمؤسسة المؤهلة لاحتضان هذه الميادين مسؤولية لعب دور متكامل وجدي وحتى تتمكن من استيعاب كل هذا دون تقصير أو نقصان ومن هنا يصبح ضروريا أن تضم هذه المؤسسات اطرارات تنشيطية كفأة وتجهيزات مختلفة .

فالميدان التعليمي مثلا يتطلب توفير الاطار المختص الكفاء والتجهيزات الملائمة لكل اختصاص والمنشط الكفاء إلى جانب تواجد الامكانيات الواسعة للتعريف بالانتاج وتبسيطه حتى يصبح مشعا بين عامة الناس .

أما الميدان الاستهلاكي فهو يمتاز بضرورة وجود المعدات اللازمة لكل عرض مع ضمان الدعاية والأشهار من أجل ضمان اقبال جماهيري متزايد ومسؤولية المنشط في هذا الميدان متأكدة باعتبار أنه مطالب بالحرص على حسن اقتناء العروض واستغلالها في الاقتراب من أذواق الجمهور لكي يتمكن من مراعاتها والعمل على الارتقاء بها شيئا فشيئا إلى ما هو أفضل .

سعيًا إلى الاستجابة لمختلف الهوايات واعتبارا لتداخل الانواق واختلافها يصبح ضروريا بعث مؤسسات ثقافية بامكانها استيعاب الرواد على اختلاف مشاربهم ، يعني ذلك توفير البنايات الملائمة والتجهيزات الضرورية والاطار الكفاء . وبعض من هذا متوفر في تونس ، ومن أهمها دور الشعب والثقاف التي هي مؤسسات حكومية تتبع مباشرة وزارة الشؤون الثقافية الوزارة المشرفة أساسا على ميدان التنشيط الثقافي في البلاد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## سد وادي سليانة

أعداد : البشير لخضر

○ على درب نهضة فلاحية : متكاملة ...

واعدة ...

○ من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي في الميدان الفلاحي

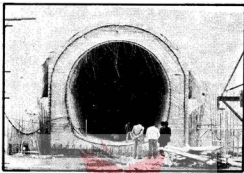


تشكل الفلاحة أحد الركائز الأساسية للاقتصاد الوطني التونسي والمورد الرئيسي لأكبر نسبة من المواطنين ومن ذلك كانت العناية الحكومة بها في تزايد خاصة خلال سنوات المخطط السادس الذي نجح على عتبة نهايته والمتتبع عن كثب لمسيرة التنمية بولاية سليانة يدرك مدى حرص الحكومة على تكريس هذا التوجه فقد شهدت الولاية دفعا فلاحيا متميزا اتجه الى قطاعين اساسيين يتمثلان في مقاومة الانجراف واحداث العديد من المساحات السقوية وكلاهما يهدف الى التعمير والتثبيت فان كان الأول يساعد على حماية التربة من الانجراف لتبقى الارض خصبة معطاء فان الثاني يساعد على شد المواطن الى أرضه ليبقى منتجا مفيدا .

وقد شهدت ولاية سليانة في هذا الاطار تقدما واضحا يبرز في غراسة العديد من المساحات بالاشجار المثمرة خاصة بمعتمديتي الكريب والروحية اللتين اصبحتا من المناطق المعروفة بانتاج التفاح والاجاص الى جانب شهرة برفو بانتاج الخوخ وكسرى بانتاج التين وسليانة بانتاج الدلاع ومكثرت بانتاج حب الملوك وها هو سد وادي سليانة يلوح في الافق ليضيف الى القائمة معتمديتي بوعراة وقعفرور في انتاج الخضر والغلال وعناصر انتاج أخرى بعد ان شهدت معتمدية سيدي بورويس دفعا هاما في مجال انتاج الخضر بواسطة حفر مجموعة من الابار خاصة بمنطقة العباسي .

ارادنا ان نسوق هذه المعطيات العامة كمقدمة للحديث عن سد وادي سليانة لتحصل للقارئ الكريم فكرة عن التكامل الفلاحي بالولاية وتوزيع مجهودات التدخل لضمان توازن محكم بين كافة مناطق الولاية .

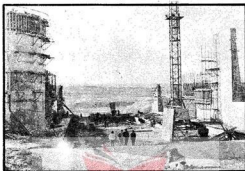
للتعرف على مختلف أطوار هذا الانجاز وما تخفيه جوانبه تحولت أسرة المجلة الى ميدان العمل فكان لها لقاء بقرية السد مع السيد الحبيب شبيل المهندس رئيس المشروع الذي استقبلنا ببالغ الحفاوة وأجابنا بطريقة المهندسين التي تعتمد الوضوح والايجاز مستعدياً بالصور الثابتة .



يحتل سدّ وادي سليانة من حيث الحجم والأهمية المرتبة الرابعة ضمن قائمة السدود بالجمهورية ويتطلب انجاز حوضه ما يزيد عن 48 مليوناً من الدنانير ويمكن من سقي 4000 هكتار موزعة على معتمديات بوعزادة وقففور وسليانة وخلق عدد هام من مواطن الرزق تمثل ضعف عدد الهكتارات المسقية أو نصفها بحكم اختلاف وجهات نظر الاختصاصيين في تقييم امكانيات التشغيل في الميدان الفلاحي ولكن من الاكيد أن هذا السدّ سيقر 1000 عائلة على الأقل بحساب عائلة بكل اربعة هكتارات مثل ما هو جار به العمل بسد الاخماس وبذلك من المتوقع ان يشع السد الجديد على ما يزيد عن 5700 مواطنا اعتمادا على أن معدل العائلة بولاية سليانة هو 5,7 الى جانب ايام العمل العديدة التي تتوفر على مستوى الخدمات وان كان سدّ الاخماس قد ادخل ثورة اجتماعية هامة حولت وجهة الحياة من الخمول الى الحركية ومن اليأس الى الامل بمناطق الري فان سد وادي سليانة سيخلق حركية اكبر واشمل باعتباره يهّم ثلاث معتمديات ومساحات اوسع فهو سيكون سد الاخماس بضارب 3,2 .

عمر هذا السد حددته الدراسات لمائة سنة الا أن عمره الحقيقي سيكون أطول من ذلك بكثير بفضل الأعمال الجادة التي سبقت الشروع في بنائه لحماية مصبات وادي سليانة من الانجراف باقامة الحواجز الواقية وغرسة الاشجار الغابية للتقليل من حجم التربة التي تجرفها المياه لتستقر في حوض السد وكذلك بفضل مفرغ الفيضانات الذي يساعد على التخفيض من كميات التربة المتجمعة بالحوض .

ونظرا لعظمة هذا السد فإن مدة اشغال بنائه تتواصل ثلاث سنوات ونصف وتنقسم على أربع مراحل مكنت المرحلة الاولى منها التي انتهت يوم 15 جويلية 1985 من القيام بحفريات مفرغ الفيضانات وتحويل وجهة الوادي وحفر نفق يمتد تحت جبل حجري يبلغ طوله 450 مترا وقطره ثمانية أمتار .



اما المرحلة الثانية التي من المنتظر أن تنتهي أشغالها يوم 15 ماي 1986 فهي ستتمكن من بناء مفرغ الفيضانات والجهتين اليمنى واليسرى للسد وبناء النفق وبرج الري الذي يبلغ ارتفاعه خمسين مترا وبناء الحاجز الامامي للسد تليها المرحلة الثالثة التي تنتهي يوم 15 نوفمبر 1986 وسيتم خلالها بناء حاجز خلفي لحماية الجهة السفلى للسد ومواصلة جانبي السد الايمن واليسر وبناء برج الري الذي سيتم من تحديد كميات الماء المنجمعة بالحوض وتصريفها عبر القنوات وسيتم اثناء المرحلة الرابعة والاخيرة بناء حوض السد الذي سيكون جاهزا بحلول الله يوم 15 أكتوبر 1987 وهو يوم من أيام تونس الخالدة تحتفل فيه بعيد الجلاء العسكري عن بنزرت وسيكون بالنسبة لولاية سليانة يوم تحتفل فيه الى جانب افراد الشعب التونسي بعيد الجلاء وتحتفل فيه بجلاء العطش عن 4000 هكتار أطلقك حضرة القاريء الكريم قد اخذت فكرة عن انجاز سد وادي سليانة الذي سيكون مورد خير عظيم وقطب اشعاع كبير لما يمكن ان يبعث حوله من مشاريع لتحويل انتاجه الفلاحي صناعيا لكننا حرصنا على تقديم معطيات أخرى قد تعطي بدورها فكرة عن السد فالموعد الذي ستنتهي فيه الاشغال هو موعد متقدم زمنيا عن الموعد الذي حددته الدراسات بفضل جدية الاطار الساهر على تنفيذ المشروع وحزم العمال البالغ عددهم 600 عاملا في حين أن المقدرات هي 400 عاملا يتلج الصدر حقا هو أن تشاهد هذا المشروع ينجز بمشاركة فعليه وهامة لاطارات تونسية اذ من بين 101 اطارا فنيا نجد 16 مهندسا تونسيا و50 عونا فنيا تونسيا .

ان التكاليف التي عرضناها في اول التحقيق والبالغ حجمها 48 مليوناً من الدينارين لا تمثل الا التمويلات الموجهة لبناء السد يوجد الى جانبه اعتماد ثان قدره 14 000 الف د. لمد قنوات الري من موقع السد الى المناطق السقوية . معطيات على هامش التحقيق :

- تحويل الطريق الرئيسية الرابطة بين سليانة وقفقر تطلب وحده اعتمادا قدره 1,200 الف دينار ومن حسن الحظ انها لا تعتبر خسارة لان الكيلومترات العشر التي يشملها التحويل كانت تمثل عبئا ثقيلا على مستعملي هذه الطريق لخطورة منعرجاتها وفساد ارضيتها .

- حوض البحيرة العادي يسمح 6 كلم مربعا وهو ما يعادل 600 هكتارا لكن هذه المساحة تصل عند فيضان الوادي الى 20 كلم مربعا وهو ما يعادل 2000 هكتارا . - يكون علو الماء بالحوض عاديا 38 مترا ويصل في الحالات القصوى اي عند فيضان الوادي 52 مترا .

- طاقة السد العادية : 80 مليون مترا مكعبا .

- طاقة السد القصوى 150 مليون مترا مكعبا .

- يتطلب انجاز السد المواد التالية :

3 ملايين مترا مكعبا من التربة والحجارة .

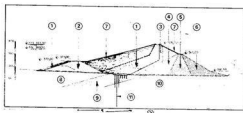
80 ألف مترا مكعبا من الاسمنت المسلح .

620 طنا من الحديد .

- لمنع الماء الموجود بالحوض من التسرب تحت الارض تم وضع اعمدة مسلحة تحت الارض تعرف عامة «بالزريقة» يبلغ مجمل طولها 40 كيلومترا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## منظر سطحي



- 1 - الحاجز .
- 2 - الحاجز الوتني السفلي .
- 3 - الحاجز الامامي
- الوتني بالعالية .
- 4 - مفرغ الفيضانات
- العادية، مأخذ الماء
- ومفرغ من القعر
- 5 - مفرغ الفيضانات
- الغير عادية
- 6 - نفق التحويل الوتني
- 7 - حجاب من الحقون



## أمال

للمنحي القردلي

شاء القدر أما شاءت المزيمة ؟  
ان نكون طلبة أشبالا ... !  
في باريس الاقحوان  
لا يطمئن كيان  
حياتنا كلها نضال  
تذكيه النيران  
من الانس والجان  
فيقترب المال  
ويموت الجبان  
: حيا الفنان  
وكاتب المقال  
وصاحب الأعمال

حياتنا آمال  
قلوبنا حيرى  
همنا الهجران  
وعهدنا أموال ...  
في باريس الاقحوان  
نسهر الليالي الطوال  
في الحراسة، في الفنادق ...  
ينهكنا التعب  
حتى نداء الاذان  
في الصباح نستبشر بالحياة  
اطمئنانا من الاعتقال  
دوما نعيشر على الامال



كننا في هذيان  
وكل شيء بان  
هاتوا البرهان  
بعد، هذا البيان  
لكي نمسك بالامان  
من أقصى الجنوب  
الى أقصى الشمال



في باريس الاقحوان  
في الليل ألوان  
وفي النهار غليان  
لا تخلو منهما أهوال  
بزعجنا  
اصطكاك الاسنان

باريس 15 نوفمبر 1983

المنحي القردلي

## ما ينبغي أن تعرف عن مرض «الحصبة»

بقلم الدكتور : محمد الناصر زروق

مرض الحصبة معروف جدا عند كل الشعوب ومنذ أقدم العصور . يتم دائما بخطورة خاصة فهو يزجج العائلات لانه كثيرا ما يؤدي بحياة الاطفال ، أو يترك مخلفات مرضية تؤثر على نمو الطفل ، وبالتالي على مستقبل حياته . لذلك استأثر هذا المرض باهتمام الشعوب ، قديمها وحديثها ، فكثر الأوصاف والاعتقادات حول الحصبة وأسبابها وطرق معالجتها .

كان الأوروبيون القدامى يعتقدون أن الحصبة تعبر عن ظهور دم الحيض الفاسد عند الام على طفلها ، ومن ذلك يكون الاحمرار على الجلد ...

أما الهنود فيرجعونها الى نوع من الالهة تدعى : «ماطا» وهم يخفون مريض الحصبة ، ويسمح لهم الى الآن بإخراج مرضاهم من المستشفى اذا تأكدوا من الحصبة .

ولدى العرب أمثال كثيرة تعبر كلها عن خوفهم من مرض الحصبة واهتمامهم بها ، نذكر منها ما يلي :

- الطفل يحسب بعد الحصبة .

- الولد يولد من جديد بعد الحصبة .

على أن منهم من كان لا يسمي الصغير الا بعدها .

ومن الامثلة الفارسية القديمة نجد : «الجدرى يذهب البصر ، والحصبة تدفع الى القبر » .

وحسب الاعتقادات نجد أن طرق العلاج كثيرة ومختلفة . والمؤسف أن أغلبها خاطيء ومضر لكنه لا يزال نافذ المفعول في الامم المتخلفة ،

وخاصة في اسيا وافريقيا . وانه لمن الصعب جدا أن تجد في ارياف اسيا من يذهب الى الطبيب عندما يشك في وجود الحصبة ، أما طرق العلاج فأكثرها يحرم النظافة والتغذية السليمة وهما من دعائم الشفاء .

من أجل هذا نجد مرض الحصبة من أكبر مشاكل الصحة العامة وخاصة عند الاطفال في الدول النامية .

أما الدول المتقدمة ، حيث تختلف ظروف العيش من نظافة وتغذية وتغطية طبية عالية ، فالامر يقيم من الوجهة الاقتصادية ، حيث أن تكاليف مرض الطفل تتعدى مصاريف العلاج الى ما يترتب عليه من خسارة متأتية من غياب الابوين عن العمل مدة من الزمن، ومن نقص في الانتاج على نطاق أوسع عندما يكون عدد الاصابات مرتفعا .

ولربما كان ذلك من الاسباب التي جعلت الاهتمام بهذا المرض يتزايد ، مما جعل الوقاية منه تفتح أشواطا كبيرة في ظرف الثلاثين سنة الاخيرة . فقد تم التعرف على «الفيروس» المتسبب في الحصبة سنة 1954 ، فامكن بذلك اعداد تلقيح مضاد له سنة 1960 .

وسرعان ما انتشر استعمال هذا التلقيح في أنحاء العالم . وقد بدأ في تونس سنة 1970 ، وعمم سنة 1975 ، حيث أصبح يعطى في كل مراكز التلقيح ورعاية الام والطفل بسهولة تامة ، ابتداء من الشهر التاسع ، والافضل ان يكون ذكر عند الشهر الخامس عشر .

أما عن نتائج التلقيح فهي باهرة ، ومضمونة إذ هو يحمي الطفل من مرض الحصبة بصفة نهائية . وقد اختفى هذا المرض من البلدان التي يتم فيها التلقيح بصفة محكمة . ولهذا فإنه من الممكن جدا ان يزول هذا المرض من الدنيا اذا عم التلقيح جميع اطفال العالم . وهو ماتسعى اليه المنظمة العالمية للصحة التي سبق لها أن نجحت في القضاء على مرض الجدري منذ سنة 1979 بفضل التلقيح .

### من عاداتنا : في مرض الحصبة

الحصبة مرض معزوف جدا في العالم . يصيب الصغار ويخافه الكبار . وقد شغل كافة المجتمعات الانسانية من قديم الزمان . فتعددت العادات

والاعتقادات واساليب العلاج والمداواة ، وخاصة عند النساء المتقدمات في السن . فما هو رأي امهاتنا في تونس في مرض الحصبة ؟ وما هي عاداتنا الموروثة لمداواتها ؟ وما هو حكم العلم فيها ؟

رأي جدتي	حكم الطبيب
- الحصبة مرض شديد العدوى	- نعم
- الحصبة تصيب الصغير بعد السنة أشهر الاولى	- نعم . فالصبي له حماية موروثة تدوم ستة أشهر
- مرض الحصبة : ★ ثلاثة أيام تسخين ★ ثلاثة أيام طلوع ★ ثلاثة أيام رجوع	- صحيح
- الغطاء بالاحمر . واللباس الاحمر	- لا ، غير مجد ، ويجب التخفيف من اللباس
- منع الماء والغسيل	- لا ، مريض الحصبة في حاجة إلى الماء . وإلى النظافة أكثر من غيره
- حليب الماعز ؟	- ليست فيه فائدة خاصة . المطلوب تغذية عادية متنوعة
- التشليط وكل أنواع الجبائر	- لا ، لانها مضرة جدا
- الذهاب الى المستشفى	- نعم ، وكل وقت ضائع يضر بصحة الطفل

التلقيح	<p>- نعم ، هو طريقة للوقاية من الحصبة . وللإفادة نذكر بان التلقيح ضد الحصبة .</p> <p>★ اجباري</p> <p>★ مجاني</p> <p>★ ناجع</p> <p>★ مرة واحدة ، في الشهر 15</p>
---------	---

وختاماً ، نتمنى ان نعيش اليوم الذي يزول فيه مرض الحصبة من الدنيا بفضل التلقيح ، كما زال مرض الجدري سابقاً ، وليس ذلك على الله بعزيز .



<http://Archivebeta.Sakr.it/>

تقرأ في الأعداد القادمة

ماهية المجتمع الصالح

المنجي القردلي

## تحية الجبل للسهول

شعر : عبد العزيز الجرادي

سألوني أسليانة تعشق ؟

أم زغوان ؟

فقلت كيف يعشق الجبل الاشم

ومن سهولها هزها سحر وكيان

فالعبد بلقائنا صدر

عجزة الوتر والالحان

سألوني أسليانة تعشق ؟

أم زغوان ؟

فقلت :

فإذا سئلت ماذا أجيب

سليانة أم زغوان ؟

عاشق أنا ...

قد جمع الصيف السنايل

والنسرين .

هل ذاك صدفة

أم قدر وزمان ؟

يا خيالي لا تبغ

إني عشقت

من على رأسها سنايل

ومن على رأسها نسرين

فرئناي نهمتان

والوقد فيهما نار صوان

ابنة الجبل الغامر هي

ابنة السهل العامر هي

ضعت وراء شعرهما

عشقت ...

عشقت ...

والوعة حبي

سليانة أم زغوان